قصائد مختارة

للشاعر إبراهيم العريض

قام بالاختيار

منصور محمد سرحان

وقدم له

د.ثريا العريض

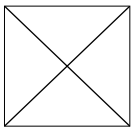

أشرف على طباعة هذا الكتاب وراجعه الباحث
بمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

مـاجـد الحـكـواتي

الصف والإخراج والتنفيذ

محمـد العـلـي

أحـمـد مـتـولي **أحـمـد جـاسم**

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

حقوق الطبع محفوظة للمؤسسة

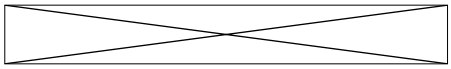

تلفون: 2430514 **فاكس:** 2455039 (00965)
E-mail < babtainprize@hotmail.com >

2 0 0 2

تصدير..

«الحياة في الشعر»

مع إبراهيم العريض وجيله من الشعراء الذين بدأت أصواتهم الشعرية تبرز في مطلع الثلاثينات من القرن الماضي يأخذ الشعر منحىً جديداً بعد فتح النوافذ لرياح العالم الثقافية وعواصفه، يتحرّر الشعر من المناسبات التي كانت تثقل كاهله وتجعله خاضعاً للأعراف الاجتماعية والثقافية، ومن كونه حرفة ومهنة، ليصبح موقفاً من الذات والعالم، وهَوَساً يتلبّس نفس الشاعر، ويتغلغل في كيانه، لم يعد الشعر وثيقة لغوية فقط، ولا وثيقة تاريخية فقط، ولا وثيقة اجتماعية فقط، بل أصبح مرآة لنفس الشاعر أولاً في مواجهتها للعالم، أصبح صورة للحياة وقد تحولت إلى حلم، الحياة في أسرارها وجذورها لافي صورتها المألوفة والجاهزة، ومن هنا تكتسب اللغة قيمتها ودورها، وبعد أن كان الشعر يقف خارج النفس ويُستدعى عند الحاجة لأداء واجب اجتماعي وفق مقاييس معينة ويسير هادئاً متزناً نحو هدفه، أصبح الشعر حالة نفسية، وعاصفة تهدم في طريقها كل علامات الطريق، وتنطلق في رحاب جديدة قد تفاجئ الشاعر نفسه، أصبح الشعر هو الشاعر بعد أن كان الشعر رديفاً للشاعر.

عاش إبراهيم العريض طفولته وفتوته في الهند بعيداً عن لغته الأم وتراثه الشعري، وهناك تأسس وعيه الثقافي أولاً، ومن هذه المرحلة اكتسب إبراهيم انفتاحاً على ثقافات العالم، وحين استقر في وطنه بدأت رحلته مع اللغة العربية والتراث الأدبي القومي، وتمكن في فترة قصيرة أن يتجذّر في اللغة والتراث وأن يسيطر على الأدوات اللازمة للقول الشعري.

وبهذا الانفتاح الذي عرفه إبراهيم على الآخر الثقافي، لم يكرر المشهد الشعري في البحرين بل حاول أن يتجاوزه ويؤسس لمستوىً جديد وتحرير الشعر من رواسب الخطاب الشعري، يخرج بالشعر من عباءة التراث والنسج على منواله، أي من كونه حالة لغوية بيانية ويدخل إلى النفس البشرية بكل أغوارها وأحلامها وصبواتها،

ليصبح حالة إنسانية تقتنص اللغة المناسبة، وبذلك قلبت المعادلة الشعرية رأساً على عقب، وبعد أن كان تقف على رأسها أصبحت تقف على قدميها، اللغة والعبارة تخضع لأحوال النفس، ولا تُصبّ النفس في قوالب اللغة الجاهزة، وبذلك أحدث إبراهيم العريض وجيله انطلاقة في الروح الشعرية، وفي العبارة الشعرية، وكانوا تمهيداً لانطلاقة أوسع قام بها الجيل التالي لهم من الشعراء.

وظلّ إبراهيم العريض خلال ثمانية عقود يعيش للشعر وفي الشعر، وخلال هذه المدة الطويلة أخرج العديد من الدواوين والقصص والمسرحيات الشعرية، وقدم إضاءات نقدية مهمة للتراث الشعري، وحين قررت المؤسسة تكريم هذه النخلة الشعرية الشامخة (إبراهيم العريض) قبل وفاته بقليل فإنما كانت تكرّم فيه، هذا الإخلاص لفن الشعر، وهذا الدأب الصبور على تسجيل الموقف الشجاع في محراب الشعر.

وإذا كان إبراهيم العريض قد غادرنا قبل أسابيع من حفل تكريمه، فإن ما خلّفه لنا من إبداع يبقيه معنا على الدوام، وهذه المختارات الشعرية التي أُخذت من مختلف المراحل التي مرّبها الشاعر ليست مجرد أقوال شعرية بل هي أقباس من روح الشاعر، وفلَذ من نفسه، وهي تجعلنا على الدوام نقدّر المعاناة التي عاشها الشاعر لكي يمتع نفوسنا ويضيء لها مسالك الحياة الملتوية.

تحية للشاعر إبراهيم العريض في عالمه العلوي، ودعاء له من القلب بالرحمة والغفران.

والحمد لله من قبل ومن بعد،،

رئيس مجلس الأمناء

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في ٧ من رجب ١٤٢٣ هـ.

الموافق ١٤ من سبتمبر ٢٠٠٢م.

شهادة في الأستاذ

شعرت بالكثير من التردد حين طلب مني الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين أن أكتب دراسة تتصدر الكتاب الذي قررت « مؤسسة البابطين» إصداره بمناسبة الاحتفال بنيل الأستاذ إبراهيم العريّض لجائزتها التكريمية.

و شعرت أيضاً بالكثير من الفخر.

رأيت في ذلك الطلب امتحاناً وشهادة لي شخصياً.

وهي شهادة تحمّلني الكثير من المسؤولية أمام مؤسسة البابطين وأمام القارئ وأمام محبّي «الأستاذ» ...

والحق يقال هي شهادة تاريخية في رجل غير اعتيادي ولذلك تدخل في تصنيف المسؤولية الأدبية تجاهه وتجاه الحقيقة.

فالأستاذ عملاق في كل أبعاده و تفاصيله، كنت حظيظة أن عرفته عن قرب في أخص خصوصياته وحميمياته ، فتحت عيني على الدنيا لأجد حضوره شاهقاً حولي.

و لم يكن حضوره عابراً في حياتي بل متجذراً في كياني مادياً ومعنوياً.

رجلٌ شاركني طفولتي، فعانق فيَّ بعض أحلامه، وبارك بعض طموحاتي الصغيرة، وسعد معي بتحقق بعضها.

رجلٌ كان يسميني في طفولتي شمعته، وفي صباي تميمته، وفي أيام تعذر حركته نافذته على عالم الأدب و تفاعلاته.

رجلٌ شاركني بعض ذكرياته الحميمة عن طفولته وصباه، وبعض أحلامه وبعض إحباطاته.

رجلٌ ظل يثيرني اتساع آفاقه الخاصة، ويذهلني ثراء مكونات عالمه الخاص، ويملؤني طمأنينة حبه للغير، ويملؤني فخراً إعجاب الآخرين به وحبهم له، ويضحكني عجز البعض عن فهم هذا الحب وهذا الإعجاب.

رجلٌ أعرفه جيداً..

رجل أحببته كثيراً بكل خصوصياته و تفرده.

ومع المعرفة ازداد حبي واحترامي له، لأنه رجلٌ يستحق الحب والاحترام.

رجلٌ أجبرني تميزه أن أكون متحيزة له..

و أن أومن أنني على حق في هذا التحيز..

هكذا جاء قراري بقبول الطلب.

أشكر عبد العزيز البابطين على هذه الثقة التي أولاني إياها.

و لابد أن أعترف أنني وأنا أشرع في كتابة هذه الشهادة لا أعرف بعد كيف ستبدأ ولا كيف ستنتهي.

فالأستاذ هو الاسم الذي عرف به أبناء البحرين و الخليج إبراهيم العريض خلال عمر حافل بالعطاء امتد لسبعة عقود.

و«الأستاذ» هو أيضاً والدي ..

مما يضعني في موقف متعدد الضغوط.

و بقدر عمق علاقتي مع والدي، رحمه الله، وتعدد روافدها ومساراتها إلا أنني أجد نفسي عاجزة عن إجابة السؤال البسيط: ماذا أقول وهل سأستطيع أن أغطي المساحات المترامية الأطراف لعالم هذا الرجل الفذ ؟ .

ثم بعد هذا جاء إدراك ما هو أصعب..

تساؤلات ذاتية تُولّد الشك حول قدرة تحقيق ما طُلب مني.

و عن مسؤوليتي أمام القارئ.

ليس من السهل، ومع توخِّي أقصى حد من الموضوعية والدقة، أن تكتب عن الغير مختزلاً إياه ومنجزاته في إطار الكلمات.

فكيف حين ذاك الغير هو قريب حميم، بل قريب غالٍ تود ألا تغمطه حقه في إضاءة منجزاته وتميزاته وإبرازها بأقصى ما تستطيع من الإخلاص و الصدق، مما يجعل الموضوعية التزاماً عسيراً؛ ألن تتضاعف خيانة الاختزال بخيانة تداخلات المعرفة الحميمة والعواطف الفردية؟

ثم .. حين ذاك الذي تكتب عنه ليس حالةً عادية يكفي فيها استعراض أفعاله، بل هو حالةٌ مميزة، وريادة مشهود لها على أكثر من جبهة، كيف ستقيّم إنجازات من إنجازاته تأتي فوق مقاييسك للتقييم العام ؟

رجلٌ مثل إبراهيم العريض أصبح رمزاً من رموز التجديد والإضافة في الحركة الأدبية العربية خلال قرن من العطاء الفردي المتميز، ورمزاً من رموز التطوير المجتمعي.. كيف حقق ذلك ؟

كيف وهو يرفع لواء الدعوة إلى تجنيد الطاقات الذاتية في البناء لا الهدم.. والتحفيز، لا البكاء على الأطلال.. والتحليق إلى آفاق الريادة العلمية والثقافية، لا تثبيت النظرة على ما كان ؛ كيف استطاع أن يوصل رسالته تلك إلى مجال استيعاب مجتمعه؟ كيف لم ير في ذلك مهمة مستحيلة في بدايات القرن المنصرم حين كان المجتمع الخليجي لا يزال مجتمعاً يتوجس من المجددين، ويشكك في مرجعية المطالبين بالتفكير، ويحارب التغيير ويطالب رموزه بمثالية الوفاء للماضي إلى حد التحجر؟

ماذا أقول عن إبراهيم العريض المثقف العربي، بصفتي أحد نتاجات هذا القرن بكل تلابساته ؟ و كيف أرى دور إبراهيم العريض فيه؟

ماذا أقول عن إبراهيم العريض بصفتي امرأة عاشت هذه الفترة الملتبسة في عمر مجتمعنا العربي الخليجي المسلم متخبطاً بين راحة الجهل وتحديات التنوير و ادعاءات العرف، وصراعات التقييد والانعتاق.

وماذا أقول عن إبراهيم العريض بصفتي إحدى بناته وعن دوره في بنائي العاطفي والثقافي؟

و لو لم أكن ابنته بل مجرد إنسانة تقاطعت خطاها مع خطاه في دروب الحياة فماذا سأقول عن إبراهيم العريض الذي يعتز أصدقاؤه بصداقته، ومعارفه بمعرفته في محيطه الحميم والبعيد القصي؟ وعن إبراهيم العريض الذي ظل محتفظاً بصفاء روحه الطفولية ، ووفياً لكل من أحب ؟

و لو كنت مجرد متذوقة للإبداع، ماذا أقول عن إبراهيم العريض الفنان الذي أحب الموسيقى وعشق الرسم؟

ماذا أقول عن إبراهيم العريض الشاعر الذي لم تشغله قشور اللغة و قيود شكلياتها عن روح الشعر، حتى كتب الشعر بعدة لغات وأحسن في كل منها؟

و عن إبراهيم العريض الذي كتب المسرحية التاريخية والدرامية شعراً فأبدع في الحالتين؟

وعن إبراهيم العريض الناقد الذي لم يشدّ اهتمامه غير إنجازات من بلغت شواردهم القمة وأثارت عواصف التساؤل والرفض مثل الخيام و المتنبي ؟

ثم .. ماذا عن ذلك الجانب منه الذي لا يقاس بعدد القصائد والدواوين منه، أو المطبوعات والأطروحات عنه ؟

ماذا سأقول عن إبراهيم العريض، الفنان الأعمق تواصلاً مع آيات الخلق الرباني وروائع إلهامه للفن الإنساني؟

و عن إبراهيم العريض الإنسان الذي سبر وشائج الإنسانية، واحترم جوهره ؟

وعن إبراهيم العريض المثقف الذي عبر برازخ الحضارة الإنسانية؟

وعن إبراهيم العريض الذي فهم جوهر الإيمان بالله، والانتماء إلى الإسلام وتعاليمه؟

وعن إبراهيم العريض العربي المؤمن بالأمة والقومية؟

هل أستطيع أن أجمع هذا كله في كلمة أو دراسة محدودة؟

ثم.. هل أستطيع الالتزام بالموضوعية التي فرضتها على نفسي، وتجنب شراك الانفعالية والميول الفردية و إغراءات التحيز لرجل أحبه؟

مؤسسة البابطين مؤسسة محترمة أحمل لها الكثير من التقدير لتميز مشاريعها الثقافية.

وأبو سعود رجلٌ له معزته واحترامه الخاص

والطلب منه غال ..

ثم هو طلب يختص بوالدي .. و أنا فتاة بأبيها معجبة.. فهل أستطيع أن أعتذر عن هذا الطلب؟

كان والدي يقول دائماً : « إن المبدع شاهد على عصره ».

وتلك المسؤولية؛ مسؤولية الشهادة على واقع العصر كانت تمثل له التزاماً غير هين. ما كان يلقي الكلمات و لا يعلن الشهادات جزافاً.

و ها أنا أتذكر ذلك وأنا أقف في موقف الشاهد ليس على العصر فقط بل وعلى الأستاذ.

ليس من السهل أن تكون موضع ثقة أن باستطاعتك الكتابة، وبأمانة، عن موضوع شاسع الأطراف حول رجل له موقعه وأهميته في تاريخنا الثقافي والأدبي، وأن تكتب ما يشد القارئ للمتابعة في خضم ما ازدحمت به الساحة من عروض وتغطيات لإنجازات إبراهيم العريض.

موقف غير هين.

لستُ كاتبة محترفة بل عاشقة للكتابة. ولو طلب أبو سعود ناقداً محترفاً لوجد الكثيرين يتسابقون للاستجابة لطلبه، ولهم الفخر. نعم الطالب والموضوع.

قلتُ :

ألبي الطلب على أن يكون ما أقدم مادة ذاتية تستمد محتواها من ذاكرتي الشخصية وحواراتي مع الوالد على مدى العمر، وأن تكون انطباعية لا تستمد قيمتها من انتمائها إلى مدرسة تحليلية بعينها، وستكون بالتالي متفردة بين تلك المتوفرة أو المتوقعة من أي ناقد أدبي لشاعر أو مبدع، أو أي رصد سابق تم عن إنجازات والدي شعراً أو نثراً.

شعلة الإبداع وشموع التذوق:

لنضع الأمور في نصابها الصحيح ..

لست ناقدة أدبية بل متذوقة للفن والأدب.

ولست هنا لأقيم شعر « الأستاذ» بل الأقرب أنني أرسم معالم تأثيره في حياتي بما في ذلك بنائي الأدبي وذائقتي في الفن والإبداع . فمنه جاءت منابع روافدي الأولى. ولا أشك أن رؤيته العميقة والشمولية لما هو الفن وما هو الإبداع وما هي الريادة شكلت نظرتي إلى هذه الأبعاد. كما لا أشك أن نظرته المتحضرة إلى المرأة وإيمانه بقدرتها شكلت في النهاية كل ما أنا اليوم.

ولقد بدأت رحلة التذوق هذه، طفلة تتشبث بكف والدها وهو يصطحبها معه في مشاويره حين يلتقي بأصحابه ورفاقه من الأدباء والمثقفين داخل البلاد أو في أسفاره في الخارج، وتنصت صامتة لحواره معهم . وكم كانت محاورات غنية ومثرية حول ما يعنيه الإبداع والفن. تلك كانت مؤشرات أضاءت لي كصبية درب تقدير الإبداع وتذوق الفن.

تعلمت من الإصغاء لتلك المناقشات كل ما أعرفه عن عالم الإبداع :

أن الفن الصادق يحمل رسالة هي جزء لا يتجزأ منه ..

وأن الإبداع الحقيقي يفرض نفسه دون لجوء للمقويات والمبررات الداعمة..

وأن أهم امتحان هو امتحان الزمن.

وامتحان الزمن يفرض قدرة عبور المتغيرات المرحلية والبقاء على تواصل حيوي مع احتياجات المرحلة.

أي أن الفنان الحقيقي لا تموت قدرته على الإبداع لأنه في تواصل مستمر مع تطور الوجود من حوله منذ الأزل وحتى الأبد.

ربما صقل ذائقتي فيما بعد عبوري في تطورات القصيدة العربية من مرحلة سيادة العمود الخليلي إلى مرحلة كفاح قصيدة النثر للتجذر بالرغم من أعاصير رياح الرفض المجتمعي.

ولكن ذلك لا يرفعني من مستوى التذوق تقبلاً أو رفضاً إلى مستوى إلقاء الأحكام بأفضلية هذا أو تلك.

الآن، كشاهدة ، أستطيع أن أقول إن «الأستاذ» في فنه ورؤيته للإبداع تآخى مع استمرارية الوجود ومتغيرات الزمن، ولم يخضع لعوامل الركود حتى في آخر أيامه.

عملاق في أرجوحة الظلال :

اكتشفتُ ذات يوم طفولي أن ذلك الرجل العملاق – الذي يعيش معنا في البيت، وتطالبنا أمي بالهدوء والتوقف عن العبث والشقاوة حالما يدخل المنزل– ، يغمغم بهمهمات موسيقية حين يكتب .

سألتُ أمي عن ذلك..

سألتها إن كان يغني بصوت منخفض فضحكت وهي تجيب « لا ».

وأضافت بصوت يحمل الكثير من الفخر أنه يكتب «الشعر». لكنها لا تستطيع أن تعرف لي ما هو « الشعر ».

أمي نفسها كانت تدندن بالأغنيات الخليجية وهي تؤدي أعمال المنزل، وكان لها صوت جميل وضحكة أجمل تذكرني برنين أجراس موسيقية، ولكنها لم تكن تعرف إجابات كل الأسئلة التي كونت أراجيح طفولتي .

هو كان لا يعرف الإجابات كلها فقط بل ويشاركني متعة الوصول إليها.

الآن ربما لو اختصرت ملايين التفاصيل في ذاكرتي عن والدي لرسمته طفلاً عملاقاً في أرجوحة التأمل بين اللغة والفكر ينسق بينهما بإيقاع عاطفي ليأتي الناتج فناً خالصاً. أو ربما اختزلته إلى روح شاعر وأنامل فنان تعود قصائده لوحاتٍ ملونة مضيئة بحيوية الوجود في عالم شاسع التفاعلات.

كانت اللغة، أي لغة يقاربها، خامة فنية غنية يصوغ منها تلك االلوحات. وكانت المشاعر والإنجازات الإنسانية محور اهتمامه سواء كان ذلك الإنجاز فناً مرئياً أومسموعاً أو فكراً علمياً.

ولست في تصوري هذا بعيدة عن حقيقته الجذرية أو أشط في الخيال فهو فنان ورسام فعلاً .. بدأ في طفولته بالرسم وأبدع فيه حتى نال الرتبة الأولى على دفعته في القارة الهندية كلها . ثم تحول عن الرسم إلى الشعر فأصبح يرسم بالكلمات.

بل ويتقن عدة لغات تعرف إليها قبل أن يعود إلى لغته الأم ليتعلمها وهو صبي يافع.

وقد ورثنا عنه أنا وأخي وأخواتي هذا الميل للرسم وللغة .

أما لماذا كان يدرس في الهند وهو العربي من الخليج أصلاً وفرعاً فهي حكاية سأعود إلى تفاصيلها في ما بعد.

ربما كان وجود ظل أبي شامخاً في كل موقع أجد نفسي فيه هو أول وعي لي بانتمائي العائلي بعد حنان أمي ورقة الوجود الأخوي لشقيقاتي كرفيف أجنحة فراشات في سرب. أما ظل أبي فكان شيئاً آخر له إحساس الصلابة والثقة ويحمل معه الطمأنينة والأمن وشعور غامض بالعز والافتخار .

فتحت عيني على سؤال يتكرر أينما ذهبت حالما يعلمون أن اسمي العائلي هو العريض : هل تقربين للشاعر إبراهيم العريض؟

ولم أكن في البداية أعرف ماذا تعني كلمة « الشاعر» ولكني كنت أعرف اسم أبي فأرد بالإيجاب. وأستغرب بيني وبين نفسي لماذا يسألونني عن أبي ولا يسألون رفيقاتي عن أقربائهن.

كان أول ما نشر والدي من الشعر العربي ديوان « الذكرى» عام ١٩٣١ وتلاه «وا معتصماه» و« بين الدولتين» وهما مسرحيتان شعريتان بمواضيع تاريخية كتبهما ليمثلهما على المسرح طلاب مدرسته الخاصة كجزء من المنهج الدراسي المتطور الذي اختاره للمدرسة.

وقد أسف فيما بعد على التسرع في نشره ديوان « الذكرى» حيث لم ير قصائده ارتقت إلى مستوى يؤهلها للنشر.

هكذا منذ البدء كان الشاعر والناقد يتعايشان في إبراهيم العريض وكان كناقد مثله كمعلم شديد التدقيق لا يتقبل الخطأ أو الضعف.

ولم يكن يجامل في تقييمه أحداً وربما ذلك ما أخافني من النشر، فظللت أحتفظ بشعري لإطلاع صديقاتي الحميمات فقط، هذا ما نصحني ألا أتعجل النشر لكي لا أندم على قرار متسرع يستبق نضج التجربة، وهي نصيحة شكرته عليها كثيراً حين وعيت أبعادها لاحقاً.

وظل دائماً مصراً على حسن الإنجاز لا جني الثمار الفجة.

بعد « الذكرى» تتابعت مجموعاته الشعرية : «العرائس» ٤٦ و« قبلتان» ٥٠بم و«أرض الشهداء» ٥٢ و«شموع»٥٦ وآخرها « يا أنت» ٩٨. وله أيضاً ترجمة الخيام وديوان باللغة الأردية «جلبهاري»، وقصائد باللغة الإنجليزية. أما طروحاته النقدية فأهمها دراسته المتعمقة عن المتنبي «المتنبي بعد ألف عام»، و« اللمسات الفنية لدى الخيام» ثم دراسته المقارنة لترجمات الخيام . كما أذكر دراساته للشعر الحديث وربما كان أهمها « كلمة آن لها أن تقال» التي تناول فيها حركة الحداثة الشعرية وقصيدة النثر .

أبي من شعراء القصيدة العمودية، وقد ظل وفياً لها، وإن كانت له في قصائده بصمته الخاصة التي تفرد بها شعره عن مجايليه ومن سبقوه. ولم يمنعه ذلك من تذوق الأجناس والأساليب الأخرى للشعر، فقد تعدى مستوى تقبل ما يجد هو نفسه راحته فيه إلى مستوى أرقى يتقبل أي فن مميز أينما جاء . وقد مررت ببعض ما عايشه أبي من تطورات الشعر العربي الحديث من منعطف المهجريين حتى تأثيرات «تي أس إليوت» بعد تحدي نازك الملائكة للعمود الشعري المعتمد، وتجديدات بدر شاكر السياب، وانتقلت إلى مرحلة الانبهار بنزار قباني وظهور شعر المقاومة، وتوجعات أمل دنقل وتفرد محمود درويش.

وقد ظل لوالدي منذ البداية اطلاع على الشعراء المجددين وإبداعاتهم، وعلى اتصال مباشر بل وصداقة شخصية مع كثيرين منهم، وصل بعضهم إلى التميز بصيغهم الخاصة منهم: نازك الملائكة، وبلند الحيدري، ونزار قباني، لا بسبيل الحصر بل مثالاً فقط.

وقد كنت في البداية أقرب إلى تذوق الشعر مني إلى تفهم رؤيته النقدية وطروحاته حول الشعر وعلاقته باللغة التعبيرية والفن بشكل عام. وقد حفظت بعض قصائده عن ظهر قلب على الرغم من طولها. وأستطيع الآن أن أرسم صورة لتطور التعبير الفني عنده، وهو تطور ظل وفياً لإيمانه الجذري أن الفن لا يأتي افتعالاً شكلياً ولا انشغالاً بالصنعة بل هو دائماً تعبير صادق عن الحياة واحتفاء بها .

وأنا كشاعرة أنتمي إلى جيل غير جيل أبي، ولكنني تعلمت منه الحوار مع كل الأجيال، إلا التي لا تحاور إلا من منطلق ترسيخ نفسها وإلغاء الآخرين .. أو تلك التي تعيش حالة هذيان منغلق على ذات منحصرة الأفق والوجود.

وأقول إنني تعلمت منه تقبل التطورات الأسلوبية والتعددية في الصيغ المفضلة من هذا الشاعر أو ذاك. ابتدأت معرفتي بالشعر باللغة الشفاهية للشعر وتأثرت كثيرا بقراءة القرآن الكريم مؤسسة جذوري اللغوية ، ثم بما قدمته لي في الطفولة الأولى تلك الدواوين العالمية التي اكتشفت فضوليتي الطفولية عشرات منها، في مكتبة أبي الشاسعة.

ذائقتي في الشعر العربي نبتت مع القصيدة العمودية الموزونة، وتعلمت تذوقه مع البلاغة التقليدية في المعلقات العصماء: حكم زهير بن أبي سلمى، وتفاخرات طرفة وعنترة،

وطموحات المتنبي، وأشواق ابن زيدون. ولكني أنتمي بالطبيعة روحياً إلى عصر لاحق، وتعبيرياً إلى الإيقاع التفعيلي الحر. وبعد تأثري ذاتياً بالمهجريين والشواعر جاءت وقفات انبهار مراهقي مع نسائيات نزار المتمردة، ووقفات تأملية طويلة مع كوابيس بلند الحيدري، وحسب الشيخ جعفر، وتغريبات البياتي وحجازي، ومحمد عفيفي مطر، ويمنيات البردوني ومحمد عبده غانم ، ثم .. وقفات أطول في حيرتي مع تغرب أدونيس وعلاقته الملتبسة بالجذور، وذوباني أمام محمود درويش وهو يبلور فناً أدبياً لغوياً مؤثراً يخرج به جراحات الأمة من حصاراتها السياسية الحضارية منقوشة بنزيفه الذاتي في حصاره جغرافياً.. دون أن ينعزل في برج عاجي بعيداً عن فهم أو ذائقة أو مواجع القارئ.

وجدتني في معايشتي لوالدي في عالم الشعر والفن والأدب أدخل في متاهة طويلة متعددة الالتفافات أبحث عن إجابات لتساؤلات أزلية ربما، عن موقع الفن والإبداع من جراحاتنا الخاصة والعامة وطموحاتنا لتدجين اللغة والأسلوب في خدمة تفاعلاتنا الفردية بدلاً من الخضوع لضغوط الجذور الموروثة لتدجين المبدع فينا وتهجينه لئلا ينطلق بعيداً عن سيطرة الموروث.. ثم تساؤلات التوازن المطلوب في المبدع بين تشوقه للوقوف تحت شلالات البريق الملمعة له وبين الصدق مع ذاته ومثيرات إبداعه، والتوازن المطلوب بين تطرفين: الصنعة المفتعلة، والابتذال.. وكلاهما مرفوض من الذائقة السليمة ولكنهما يفرضان إغراءاتهما على المبدع الضعيف أمام شهوة البروز والاشتهار.

كل ذلك يجعل الفن والإبداع بصعوبة الرقص على حبل دقيق مشدود فوق هُوّتين ما أسهل السقوط إلى هذه أوتلك منهما .

ثم أين من هذا كله موقع ما قرأته في مكتبة والدي أيضاً من ترجمات أشعار مبدعين عالميين تتفاوت الخلفيات والبيئات الحضارية والتاريخية واللغوية التي نشأوا وأبدعوا فيها. مبدعين مثل: طاغور، وبودلير، وشيلي، وبايرون، وسنغور، وناظم حكمت، وسافو، وإليزابث براوننج ؟

هل الفن والنظرة المفضلة لصيغة خاصة ناتج بيئة بعينها؟

هل الشعر موروث لغة بعينها؟ أم حضارة بمواصفاتها؟

أم هو موهبة فردية تتأثر بهذا وهذا وأي أفق إنساني ننفتح على متراكماته؟

وقفات وتساؤلات استدعت حوارات طويلة مع والدي نتناول فيها جوهر الإبداع وعلاقة الشكل النهائي بالإطار التاريخي والحضاري ومؤثرات البيئة والعصر، وما تفرزه تفردات شخصية المبدع ذاته في الصيغة النهائية للغة الفنية المختارة .

وأعترف أنني لم أتوقف بفكر ناضج الوعي أمام شعر والدي لأتأمل خصوصياته الأسلوبية والفنية في هذه المعمعة العربية والروافد العالمية، بل اكتفيت بلذة الاستمتاع بمباهجه، ربما لأنني تعرفت إلى قصائده مثل: «التمثال الحي»، و« حديث دمية» في مرحلة شغفي الطفولي بالجانب القصصي فيها أكثر مما هو اهتمام متأمل للجانب الأسلوبي والصور والصياغة الشعرية.

كنت إذن منذ البداية من أولئك المحتفين عفوياً بالإبداع الشعري بالذات .. وحين كنت أسترجع عن ظهر قلب قصيدة إيليا أبي ماضي « الطلاسم » الملحمية الطول أو قصيدة والدي «التمثال الحي» بأبياتها المشارفة على المائة ، ودون دافع خارجي يفرض علي ذلك كأن تكون جزءاً من واجب النصوص المطلوب حفظها في برنامج الدراسة ، كنت أمارس الانفعال العفوي بالشعر كظاهرة يومية في حياتي.

أدرك الآن أن تذوقي للشعر لم يأت من عينات النصوص التي طولبت بأن أحفظها عن ظهر قلب في مقررات مادة النصوص والمحفوظات بالمدرسة الابتدائية متغنية بالفراشة اللطيفة ، والممرضة الظريفة، بل جاء من انطلاق خيالي مشرعاً أجنحته محلقاً مع القصائد القصصية وللصور التي يرسمها والدي مشرعاً مسرحاً يحمل لي الحياة بكل نزعاتها الإنسانية المعقدة.

الآن أعي أن شعره كان يحمل من الثراء الفني ما رفعه فوق مستوى إدراكي البسيط المباشر، وأن أبعاد تأثيراته فيَّ – رغم أنها لم تكن بذلك الوضوح لي كمتلقية آنذاك – كانت في الحقيقة أبعد وأعمق تأثيراً في القارئ الواعي لتلك الروافد والمقدر للعمق الإنساني والموروث الحضاري العالمي فيها . وربما كان ذلك لأن شعره جاء بلغة عربية واضحة

البلاغة، ولكن منطلقاً من انتماء لجذور ثقافية أوسع من حدود عالمنا العربي جغرافياً وتاريخياً، متيحاً له أن ينفرد خارج كل هذا التزاحم والانحصار طائراً يغرد ويحلق بإيقاع أجنحة سرب بعيد جداً يحمله هو في الذاكرة ولا نعرف له نحن مرجعاً محلياً.

وعن هذه الناحية يقول الأستاذ حسن جواد الجشي الذي كان صديقاً وزميلاً للوالد منذ البدايات الأولى :

« أصدر العريض ديوانه الأول (الذكرى) في عام ١٩٣١، ورغم أنه يمثل مرحلة المحاولة والبداية الشعرية لشاعر ناشئ بما تنطوي عليه هذه البداية من وهن في الصياغة وضيق في الرؤية والخيال أحياناً، إلا أنه كان بدون شك انطلاقة جديدة رائدة في أدب الخليج بمنحاه وموضوعاته غير التقليدية المتأثرة بشعراء الرومانسية في أدب اللغة الإنجليزية، تلك اللغة التي يتقنها العريض كما يتقنها أعرق أبنائها ثقافة واطلاعاً. وكان المفروض أن يحدث هذا الديوان صداه بين شعراء الخليج فتتسع الدوائر حوله ولكنه كما يبدو ألقي في بركة راكدة. ولم يكن هو من الثقل بحيث يستطيع أن يحرك سطحها، على أقل تقدير. ولعل ذلك يرجع إلى أن الذوق الأدبي السائد في الخليج آنئذٍ كان ما يزال أسير المفاهيم الكلاسيكية التقليدية في تقييم الشعر، فكانت الرصانة والجزالة أو الظرف والرقة هي المعايير التي يوزن بها الأثر فيُقبل أو يُرفض. ولم يكن حظ « الذكرى» من ذلك كبيراً. فإذا أضفنا إلى ذلك أن الجزء الأكبر من الديوان رغم سذاجته كان هياماً بالطبيعة وغناء بمفاتنها مما لم يألفه الذوق البدوي ، أدركنا سر الجفاء بين الديوان وقراء الشعر في الخليج حينذاك».

وأقول :لم يكن شعره بسيطاً شعبي الجذور والهوية ليحرك الإحساس بالطرب لدى الغالبية بقدر ما كان شعراً للمثقف المتواصل مع المتراكم الحضاري العالمي . كان شعراً عميق الإيحاءات غنياً بالرموز والصور خارج إطار محيطه المباشر قادراً على تحريك ذائقة التأمل والتفكير.

ثم في تأملي لاحقاً لشعره بمنطلق حديث التركيز يدقق في المفردات المستخدمة وتفاصيلها، أجد أنه كان يميل إلى اختيار المفردات التي تدفع القارئ إلى إيقاظ مرجعية

حواسه الخمس كلها واستخدامها في التواصل، يبني انفعاله بما يقرأ فيعبر من المفردات المنتقاة بتخير عفوي إلى مستوى التذوق الحسي، وكأنه يقود سامع شعره ليقف أمام لوحة مرئية مثل وصف الطفلة وهي تنام محتضنة دميتها في قصيدته « حديث دمية» ، أو حتى مجسمة ثلاثية الأبعاد كوصف الشباب يتلصصون على الغادة الحسناء تغسل شعرها في البستان، فيكاد القارئ يتلمس نعومة شعرها وبرودة ماء العين ويرى لمعان الماء في العين.

فمثلاً في قصيدة « التمثال الحي» حين يصور انفعالات الفنان الذي ينحت تمثال الحسناء المتضورة يوغل في نحت التفاصيل الدقيقة للمشهد ، فتكاد تسمع طرقات الإزميل وترى لمعة العرق على جبين الفنان، وتحس بضوء الفجر يتسرب مع ارتفاع صوت الديك في الخارج..

وأشير هنا إلى ميزة أخرى تفرد بها شعره هي توخي دقة التخير في استخدام النبرة الشعرية الموائمة للحالة النفسية. وقد ذكرت لي الباحثة الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي شخصياً في لقاء تم بيننا في مدينة كمبردج بالولايات المتحدة حيث تقيم، أنها كانت أول من رصد ذلك في شعره وأنها أشارت إلى هذه الناحية في تناولها لخصوصيات شعر إبراهيم العريض، فذكرت هذه الميزة وشواهد لها.

وسواء جاء ذلك بوعي منه أو بصورة عفوية فقد أضاف بعداً نفسياً إلى جو القصيدة يشبه ما تفعله المؤثرات الخلفية الصوتية والإنارة في الإخراج السينمائي لتؤثر في تفاعل المشاهد مع المشهد.. ولعل كون الميل للجانب العلمي في الوالد لا يقل قوة عن الميل للجانب الفني هو ما أدخل هذه الخصوصية في شعره.

وحيث كانت العلاقات الرياضية وما ينبني عليها من استنتاجات ونتائج تشده كثيراً فقد توصل إلى أن هناك مشتركاً في الخصوصية بين عالم الأرقام والرياضيات، وعالم الفن والشعر بترددات المنتظمة، حيث الانتظام والتكرار وتردد النغمات المختلفة وجمعها في تنويعات مختلفة تتكرر بانتظام يوصل بالنتيجة إلى صيغة فنية في لوحة خامتها الأنوار والظلال، أوقصيدة خامتها الكلمات وإيقاعاتها، أو نص موسيقي خامته النغمات الموسيقية.

من هنا ربما جاء ذلك التعبير الآخر الذي كرره أيضاً مراراً: أن طبيعة الوجود هي الانتظام. وإذا كنا، أو بعضنا، لا نستطيع إدراك قواعد انتظامه فلأننا لم نستوعبها بعد. وإذا كان هناك ما يبدو وكأنه فوضى ظاهرية فهو الحالة العابرة ولابد أن يعود الوضع إلى الانتظام في إيقاع ما. والتجديد أو الخروج عن الإيقاع لا يكون بالتراجع إلى حالة التوقف ولا إلى حالة الفوضى بل إلى إيقاع جديد هو الأفضل من حيث تواؤمه مع الإطار الزمني والنفسي للتعبير الفني.

لغات لحوار النجوم:

أتصور أنني أدركت منذ البدء وبصورة بدهية أن أبي يختلف عن الآخرين ممن أعرفهم من الرجال في محيطنا المحلي.

كان فارع الطول عريض المنكبين هادئ الصوت، لا يرفعه إلا حين يغضب، ويتكلم عدة لغات، كثيراً ما سمعته يتحاور مع أصدقائه من الجاليات الأجنبية في البحرين وبلغاتهم الأم . لا أفهم منها إلا العربية التي كان يصر أن أنطقها وأقرأها بصورة صحيحة حتى قبل أن أبلغ الخامسة. تعلمت القراءة مبكراً ، قبيل الخامسة من عمري.. ربما لأن بيتنا المتواضع كان يفيض بالكتب في كل زواياه والقراءة فيه فعل يمارسه الجميع. وكان والدي معلمي الأول للغة العربية والرياضيات ثم .. ثم ابتدأ بتعليمي اللغة الإنجليزية في سن العاشرة.

ومثلما كان وهو يعلم شقيقاتي قبلي، كان لا يتسامح في أخطاء اللغة حتى مع الأطفال، حتى كدت أعلن التمرد وأرفض مواصلة الدراسة معه لولا تدخل أمي وشقيقتي الكبرى التي أقنعتني أن تشدده معي وعدم تهاونه مع أخطائي هودليل حب واهتمام بتعليمي، فخضعت مخفية متعتي بتلك الدروس رغم اعتراضي على حدة المدرس.

والدي معلم بالسليقة ولكنه كان شديداً لا يتحمل البلادة ولا يطيق بطء الفهم أو تكرار الخطأ. وقد سمعت فيما بعد من طلبة الوالد الذين التحقوا بالمدرسة الأهلية الخاصة التي أسسها في شبابه أنه كان شديداً معهم لا يقبل في التطبيق الصحيح للعلم انحرافاً أو تساهلاً. وقد كان العقاب جاداً بقدر ما كانت رغبة التعليم جادة.

كان الرجل الشامخ الحضور يثير اهتمامي الطفولي، أرقبه عن كثب متشربة تفاصيل حضوره في حياتنا اليومية: حين ينصرف مبكراً إلى عمله مبادراً سائق سيارة الشركة البسيط بدعابة مرحة لتنفرج أسارير « غلوم» عن ابتسامة شاكرة ، وحين يعود الرابعة عصراً ليدخن الأرجيلة، وحين يتأكد شخصياً من أننا كلنا أخذنا جرعتنا الوقائية من زيت السمك والفيتامينات ، وحين يوزع علينا عند المغرب بعد عودته من مشواره اليومي عصراً ما اشتراه لنا من المخبز القريب من حلويات وكعك ساخن . وفي يوم الخميس بالذات كان احتفال أسبوعي للجميع إذ يعود من السوق يحمل رزمة المجلات الأدبية التي عودنا على توفيرها لنا بانتظام من مكتبة « الهلال» .

وكم كان يسعده تلهفنا على قراءتها والنقاش حول ما جاء فيها.

كان متفهماً جداً لمشكلة الفراغ الذي يواجه الصغار- والفتيات بالذات- في مجتمع لا يوفر نشاطاً ثقافياً خارج جلسات الطرب البدائي والاحتفالات الدينية . ولذلك كان حريصاً على أن يوفر لنا احتياجات أي هواية نبدي اهتماماً بها كالرسم الذي شُغفت به في سنواتي الأولى. أحياناً أثناء الإجازة الصيفية كان يصطحبني معه إلى مقر عمله في شركة النفط ويسمح لي أن أرسم على أوراقه أو أجرب الآلة الكاتبة أو أخرج إلى الحديقة العامة المجاورة لأتسلى بمراقبة النباتات والطيور.

كان كثير السفر في تأدية متطلبات واجبات وظيفته لاحقاً في شركة النفط ، ولذلك كنت أفتقد وجوده حين يغيب لأيام متوالية وأحياناً لأكثر من شهر .. ولكن في حضوره كان التعويض مضاعفاً

وكان يحرص حين يسافر أن يبقى على اتصال بنا وأن يبلغنا لنسمع المقابلات الإذاعية التي تجريها معه إذاعة «هنا لندن» فنتجمع وقتها عند الجهاز قبل الموعد وكأن صوته عن بعد نبع ارتواء يعيد لنا قدرة الانتظار حتى يعود.

وحين يعود يكون الفرح مضاعفاً إذ يعود محملاً بالهدايا ..

كان والدي حيوياً جداً في علاقته بنا من حيث أشبعنا تواصلاً عاطفياً وإثراء معرفياً يلاعبنا ويستثير نمونا الذهني ..

وكان منظماً جداً في إدارة حياته يطالبنا باحترام رغبته في الانصراف إلى أوراقه حين يشاء، ثم علمنا أن نستمتع بوجودنا معاً في أي وقت آخر.

وهكذا نظم مسيرة علاقاتنا وتفاعلاتنا معاً ..

كانت الليالي هي الأجمل إذ تحمل لنا سويعات تواصل حميم معه يتداخل فيها دوره كأب بدوره كفنان عاشق للكلمات. في الشتاء نلتف حول المدفأة ملتحفين بالأغطية الصوفية نصغي له يروي لنا الأساطير العالمية والقصص وحين يغيب تنوب عنه أمي بحكايات وسوالف الخليج.

وفي قيظ الصيف، حين ننتقل للمبيت فوق سطح البيت تحت وميض نجوم السماء يستدعيها لمشاركتنا سهراتنا فيأخذنا معه في رحلات مثيرة للخيال وهو يحكي لنا أساطير الميثولوجيا اليونانية عن مغامرات الأبطال الذين تحولوا لنجوم تدور في صفحة السماء أبداً في تكوينات الأبراج مشيراً إلى تشكيلاتها في السماء.

تلك السهرات عرفتني على عالم النسر الطائر والنسر الواقع والمرأة المسلسلة كسيوبيا وأندروميدا والجبار وسيفيوس والثريا وسهيل . وهكذا أورثني عشقه للنجوم وتجاوباً مع وميضها الغامض. وما زلت أميز هذه التشكيلات السماوية حتى الآن وأتذكر تلك الليالي الخليجية السعيدة.

ولم أعرف إلا فيما بعد أن اهتمامه بالنجوم كان علمياً وأنه كان متعمقاً في علم الفلك حتى اخترع معادلة حسابية فلكية مسجلة باسمه.

وأرى الآن أنه في تلك السهرات الممتعة أشرع شرفات الأفق الوجودي الأكبر أمامنا فعلمنا احترام إبداع الله في كل مكان وبأي صورة جاء، مثلما قدر في تفاعلاته الأخرى معنا أن يستثير اهتمامنا بظواهر الإبداع الأخرى. كان اهتمامه شديداً أن نحتفي بالفنون المختلفة تشكيلية وتعبيرية في أي موقع جغرافي، ويصر أن يأخذنا في زيارات تثقيفية مطولة للمتاحف التاريخية والطبيعية والفنية في كل بلد نزوره

كان فعلاً معلماً قادراً على تقديم الحقائق الطبيعية، حتى العلمية الجافة منها، في صيغة شاعرية الرؤية قابلة لاستثارة التفكير والمتعة الذهنية. هكذا أورثنا استمتاعه بتفهم العلوم والمعادلات الرياضية، وكان حقاً عاشقاً للحقائق في مجال الرياضيات والحساب.

ولكنه أيضاً علمنا ما هو أهم : تقبل مبدأ شمولية الوجود. علمنا تعددية المشارب وموسوعية الاهتمامات، وحفر فينا إيمانه الذاتي أن تَفهّم الوجود وملامسة أبعاده ومعانيه في الحياة لا يأتي إلا من منطلق رؤية جوانبه وتفاصيله بكامل تداخلاتها وتقبلها بشمولية تكاملها كحقائق علمية وتفاعلات إبداعية تعبيرية؛ وأن اختلاف التفاصيل البشرية المجتمعية لا يعني انتفاء المشترك الوجودي والموروث الإنساني الذي يجمع البشرية كلها من حيث هم خلق الله.

وفي حياتنا الخاصة كانت خلطة أصدقائه ومعارفه تشمل أفراداً من كل الجاليات واللغات والملامح ولم يكن غريباً علينا أن نسمعه يتحاور مع أصدقائه بلغات متعددة وكأنها كلها لغته الأم.

وحين علمنا تقبّل التعددية كان يعيش معنا ما عرف فيما بعد بعقلية ما بعد الحداثة في حين يحيط بنا عالم التفاعلات المعتادة في فترة البدائية الحضارية.

ولكن الذي كان يثير اهتمامي بصفة خاصة، هوارتباطه الحميم بالكتب والقراءة. وكتبه أيضاً كانت تأتي بلغات متعددة، وتشدني رموزها المكتوبة حروفاً غريبة غير تلك التي أتعلمها في المدرسة.

ربما كان أكبر ما احتواه بيتنا المتواضع هومكتبة والدي التي تجاوزت محتوياتها آلاف الكتب بلغات متعددة، واحتلت كل زوايا البيت فيما عدا المطبخ، بل وعودنا أن تكون لكل منا مكتبتها الصغيرة، ركن خاص بها يحوي كتبها.

لا أذكر أبي إلا وفي يده كتب أو أوراق يكتب فيها، وكانت أمي تمنعني وأخواتي من إزعاجه حين ينصرف إلى أوراقه، ولكنه كان يجد الوقت لنا ومتابعة نمونا جسدياً وعلمياً.. وما شعرت أبداً أننا خارج عالم اهتمامه الشخصي.

ولم يكن يسمح لأحد منا بالعبث بكتبه أو الشخبطة على كتبنا الخاصة، وإن كان يشجعنا على القراءة ويحرص على إمدادنا بالجديد من المطبوعات المتوفرة من مطبوعات الأطفال في الصغر كمجلة «الطالب» و«السندباد» في عنفوانها الأول، حتى ترجمات الروايات العالمية مثل «روايات الهلال» و«مطبوعات كتابي» في الصبا.

كان يقرأ دائماً وإلى ساعة متأخرة من الليل، ويشجعنا أن نمارس القراءة مثله بشغف وعشق.

وربما أفسر ذلك الاهتمام الشديد بالقراءة أنه في طفولته وجد في عالم الكتب ملجأه من شعوره بالغربة، وكان يهرب من وحدته إلى حيث تفتح له المؤلفات عوالمها السحرية ليجد مسرحاً واسعاً للانتماء والنشاط الذهني ينسى فيه حصار الواقع.

وفي حين ظل الإحساس بالغربة معاناته الأولى، ظل الكتاب رفيقه الحميم حتى تعسرت عليه القراءة حين ضعف بصره مع تقدم العمر.

ولنترك تفاصيل ذلك الى حين..

الإبداع الحي والريادة البانية:

تأثير جوهري آخر وعيته مؤخراً في غمرة التحديق بذكريات علاقتي مع والدي في إطار شمولي ، إذ توقفت عند التساؤل :

من أين جاءني هذا الإيمان أن الإبداع الحقيقي غير قابل للركود أو الانحصار في مخزون الموروث بصورته السائدة أو التجمد في الذاكرة العامة؟ وأن الدور الأهم للمبدع هو البناء لا الهدم والتواصل مع المستقبل لا التشبث بالماضي فقط ؟ وأن له دور الريادة في بناء المستقبل العام قبل أن يكون تركيزه على بناء المستقبل الخاص ؟

ومن أين جاءني هذا الاقتناع أن المبدع الحقيقي لابد أن يقف موقف الفرد غير المستسلم للتدجين والقولبة؟

وأين من هذا ما يتطلبه الانتماء من مشترك يصبح مرجع تعريف واعتراف؟

ولا أشك في الجواب: من والدي شخصياً.

في معايشتي له وهو يطبق يومياً في حياته الحقيقية وإبداعه هذا الإيمان بحرية المبدع ومسؤليته، ثم يحمل موقع المبدع إلى مستوى الريادة التي تفرض على الآخرين الاحترام والتقبل، حين لا ينحرف بهذا الموقع إلى هوة تبرير انحدار المبدع إلى إمّعة يتقبّل الخنوع لمعايير ومقاييس متلقٍّ لا يعترف بضرورة التطور، أو يتطرف إلى الرفض في سبيل الرفض والبروز بالاختلاف عن السائد ولو تبجيل الفوضى وكلاهما في الحقيقة يستمد مرجعيته كلياً من السائد، بل عايشت في والدي أيضاً كيف يتصاعد الرائد بمفهومه لأبعاد مسؤوليته الإبداعية الريادية ليصبح رمزاً مرتبطاً بالاحترام حيث يتحمل مسؤولية الريادة الإبداعية بصورة أكثر إلزاماً والتزاماً بالمثاليات من الشخص العادي.

هكذا قبل وبعد تأثير كل الآخرين في تكويني الفني والأدبي تعلمت من موقف والدي من الإبداع ما هو أعمق إدراكاً لروح الفن ورسالة الأدب وماهية الإبداع:

أن الفن هوتآخٍ مع الحياة، ولكنه ليس تكريساً لظواهرها كمعطيات أبدية.

وأن الفن ما هو إلا محاولة مستمرة للتعبير عن مظاهر الحياة ومعانيها وبلغات متعددة الوسائل والخامات .. ولذلك فالفن متطور بالسليقة وليس للإبداع قالب أزلي يحصر المبدع في تفضيلات ذائقة زمن بعينه.

وكان له في هذا السياق تفسير عن رؤيته لعلاقة المبدع بالحياة سمعته منه مراراً: أن الفن – والشعر أحد وجوهه – هوفي جوهره تعبير عن الحياة واحتفاء بها.

ولكن ذلك لا يلغي مسؤولية المبدع عن التواصل مع الذائقة الأسمى التي قد تكون فوق مستوى السائد المعتمد من المتلقي العام أو خارج محتواه المحدد .

أي أن المبدع رائد في صقل الذائقة العامة وتوجيهها إلى حيث يظل توجهها نحو المتجدد الأكثر حيوية والأجدر بالبقاء في ذاكرة الزمن وحتى لو عانى في تحقيق ذلك من الاغتراب والرفض.

وما كان بمقولة أن الفن هو احتفال بالحياة واحتفاء بها يعني أن الإبداع الأدبي هو بهرجة طرب رخيص أو احتفاليات سطحية بمناسبات رسمية؛ بل المقصود أن المبدع لا

يستطيع أن ينفصل عن تأثيرات الحياة حزناً أو فرحاً أو تأملاً وتفاعلاً، وحين يتفاعل معها يفعل بها ما يفعل الكائن الفطري الملتصق بحقائق الحياة بالسليقة العفوية تماماً كتفاعل الفراش والنحل مع النقوش والأريج ونكهة الأزهار .. تتحول عند هذا رقصات وتحليق بأجنحة شفافة ملونة ، وتتحول عند ذاك إلى إنتاج عسل مصفّى، وكلاهما ناتج ينجذب إليه ويحتفي به الآخرون طلباً لمتعة فوق متعة الذائقة المحكومة فقط بالتفاعلات اليومية العامة.

أستطيع أن أقول إن عالم الخيال المبدع والفن والشعر انفتحت قنواته في عالمي منذ الطفولة بدخولي أنا في عالم والدي واكتشافي لمكوناته الأساسية: تحليق في الخيال وإيقاع في أرجوحة الكلمات يثيران التفكير لتنفتح شرفات تواصل عفوي مع الحقائق المختفية عن النظرة البسيطة للمظاهر السطحية لينتهي ذلك التفاعل الجميل بتخليدها في صورة فنية قد يستطيع الآخرون الدخول إلى أسرارها ومعناها وكنهها الأعمق.

كنت إذن منذ البداية من أولئك المحتفين عفوياً بتأثير الإبداع الشعري بالذات في الذائقة الحسية من حيث هو مموسق ومنتظم الإيقاع ، ومن الناحية الذهنية من حيث يُولّد صوراً خارج حدود الوضوح السردي . وحين كنت أسترجع عن ظهر قلب قصيدة إيليا أبي ماضي « الطلاسم » الملحمية الطول أو قصيدة والدي « التمثال الحي» بأبياتها المشارفة على المائة، ودون دافع خارجي يفرض علي ذلك كأن تكون جزءاً من واجب النصوص المطلوب حفظها في برنامج الدراسة ، كنت بصورة غريزية أمارس الانفعال العفوي بالشعر كمتعة يومية في حياتي. الآن أدرك أن تذوقي الطفولي للشعر جاء من انطلاق خيالي مشرعاً أجنحته محلقاً مع القصائد القصصية وللعوالم التي يرسمها والدي مشرعا مسرحاً يحمل لي الحياة بكل نزعاتها الإنسانية المعقدة، ولم يأت من الشعر المنظوم الذي طولبت مع زميلاتي عبر مقررات المدرسة الابتدائية لمادة النصوص والمحفوظات أن نحفظه كالببغاوات متغنيات بالفراشة اللطيفة ، والممرضة الظريفة دون أن يدرك واضعو المناهج كم كان ذلك يختزل عالم الإبداع اللغوي ويستهين بقابلية الطفل للتذوق الفني

ذلك إذن كان أول تأثير للوالد في بدايات تكويني الأدبي والثقافي .

ومع هذا أقول: يخطئ من يظن أن كون والدي شاعراً وناقداً متميزاً كان أهم تأثيراً في حياتي الأدبية من كونه والداً. ولكنني كنت حظيظة بين قريناتي فعلاً لأنه أتاح لي فرصة لا تتاح للغالبية أن يكون والداً محباً وفناناً أديباً ومثقفاً واسع الثقافة في آن، ولذلك كنت أستطيع أن أتناقش معه بحميمية في خصوصيات الأشياء التي تهمني أدبياً وفنياً، بل حتى عاطفياً وأُطلعه على أعمق مكنوناتي وتأتيني إجاباته محملة بصدق مشاعر الأب ورؤية الأديب المتمرس بالساحة وبتداخلات العملية الإبداعية، وهو ما لم يتيسر لكل واعد أو واعدة من أترابي. ولكن علاقتي به كطفلته التي يحبها ظلت هي الأصل.

وحين تجاوزت مرحلة الطفولة الأولى إلى الصبا والتساؤل عن دوري في الحياة كنت حظيظة مرة أخرى بأن والدي لم يكن متقبلاً للسائد العام في النظرة للمرأة في صورة مسطحة لا تحمل غير دور الإمتاع والإنجاب. ونظرة والدي للمرأة كإنسانة مكتملة القدرات وقابلة للحوار كانت أهم ما أسس حياتي اللاحقة

والدي والأنثى :

ما الذي تعنيه الأنثى في حياة الفنان ؟ .

ربما الإلهام قبل أي شيء آخر .. ولكنها كزوجة وأم تصبح العش الذي يحمي الفنان من الفوضى.

الأنثى الأولى والأساسية في حياتنا هي أمي.

هي العش الذي احتفظ بدفئه حتى النهاية.

أمي ابنة عم أبي وقد تزوجها بعد عودته من الهند بقرار من عمه الأكبر – أبيها– جدي الحاج محمد عميد العائلة، والحاكم فيها بأمره متحكماً في شؤون كل أفرادها.

هكذا تم أن والدي الذي كان قد عاد من الهند حيث ولد وترعرع وأكمل الدراسة الثانوية، تزوج والدتي فاطمة محمد العريض المعروفة بـ «الوردة» لتورّد لون خديها، وتلك علامة جمال مميزة في مجتمع يغلب على بشرة أفراده السُّمرة .

وما كانا عند اقترانهما قد تعديا الطفولة بكثير، هي في مطلع الرابعة عشر وهو في الثامنة عشر من العمر، وظلت زوجته الوحيدة طوال حياتها معه ثم بعد أن توفيت بعد خمسين عاماً لم يتزوج غيرها وكان ذلك باختياره.

عاشا معاً على السراء والضراء خمسين عاماً، أنجبت له خلالها ثمانية ؛ ولد وسبع بنات أنا بينهن السادسة . وحين توفيت رحمها الله عام ٧٩ ميلادية بكاها، رحمه الله، بكاء واضح الحرقة، فكانت أول مرة أراه فيها يبكي وما أشد وقع بكاء الرجال. أما هي فقد تعاطفتُ مع دموعها وأحزانها الأنثوية مراراً وبصورة تلقائية خاصة حين يغضبها منه انشغاله عنها بكتبه أو مصادر إلهامه الغامضة.

أمي رحمها الله كانت امرأة بسيطة جمعت جمال الوجه بنقاء العاطفة وعفوية التعبير وكانت تعيش الحياة محتفية بها تماماً رغم قسوة مجتمعنا في معاملة الأنثى.

وفي حين كان أبي مثقفاً شغوفاً بالبحث عن المعرفة ومتابعة كل كتاب جديد ينزل في السوق بأي لغة يتقنها، لم تتعد أمي مهارة القراءة البسيطة إلى مهارة الكتابة باللغة العربية.

امرأة بسيطة تعلمت قراءة القرآن ولم تتعلم الكتابة رغم محاولات أبي معها.. ثم توقف عن الإلحاح. وفضّل أن يشجع هواياتها الذاتية. كانت فنانة بطريقتها الخاصة، لها ميولها في فن التطريز، ووجد أن متعتها إبداع قطع فنية منقوشة، فأهداها آلة خياطة حديثة، ورتب لها أن تعلمها شركة سنجر مهارات استخدام الآلة في النقش والتطريز. . وقد أحبها كثيراً بطريقته الخاصة .. ولم يطالبها بأن تتقولب لتتمدد بمقاساته الثقافية الخاصة متجنباً ظلم بيجماليون حين فرض على أنثاه أن تعكس مشاعره وذائقته .

شخصياً لم تشغلني العلاقة غير المتكافئة بين موهبة أبي واتساع عالمه الثقافي ومحدودية ثقافة أمي إلا بعد أن قطعت شوطاً في الدراسة ولعل ذلك أخافني حيناً إذ ربما

رأيت فيه بصورة غير واعية تهديداً لاستقرار العش الذي يحتضننا، ولكن ذلك الخوف سرعان ما تبدد مع إدراكي مدى قوة الأنثى حين تصبح هي النسيج الذي يستمد منه الرجل شعوره بالحنان.

وبذكاء المبدع ترك أبي لأمي أن تكون الملجأ العاطفي لنا جميعاً واحتفظ لنفسه بأن يكون المرجع الأخير في صنع القرار وأن يكون هو مصدر المعلومة العلمية.

وكان يحب أمي بتفاصيلها الخاصة ولا يرى في عدم تعليمها نقيصة تتحمل جريرتها، ولم تكن إلا مثل كل أترابها إذ لم تكن هناك مدارس رسمية بل كان السبيل الوحيد المتيسر لمن يرغب في التعلم هو الكتاتيب أو المطوع الذي يعلم القرآن للفتيان مشفوعاً بلذعات من عصاه ، وفي المقابل هناك عصا المطوعة معلمة الفتيات. ولكن أولياء الأمور المهتمين كانوا يجدون طرقاً فردية لتعليم أبنائهم باللجوء إلى مدرسين خصوصيين من القلة المتعلمة. وأما الفتيات فيتعلمن قراءة القرآن عند المعلمة المطوعة ويتدربن على مهارات تدبير المنزل في أفياء البيت.

أستطيع أن أقول إن أبي وأمي أحبّ كلٌّ منهما الآخر، وبأعمق ما يستطيع شابان خليجيان أن يفعلا عبر الفروق الفردية والحضارية وإن جمعتهما وشائج القربى العائلية؛ هو مثقف غارق في الكتب، فنان يحمل غربته وتعطش روحه مصادر الإلهام محاولاً التوازن بين إغراءات ملامسة الحقيقة وصرامة المثاليات ، وهي صبية خليجية بسيطة لا تعرف للأنثى دوراً سوى التفاني في توفير الراحة. أضف إلى ذلك تعقيدات أن كليهما يتيم الأم منذ الطفولة الأولى مما يعني تعطشاً مستمراً للحنان ، ومع هذا ظلت سنداً له في كفاحه الحياتي ، وظل متفهماً حدود قدرتها على الاستجابة لمحاولاته إدخالها إلى عالمه الحيوي. وكثيراً ما اصطحبها معه في أسفاره خارج الوطن، هو يفتح لها شرفات عالم لم تعرفه ولم تعتد عليه.

كثيراً ما تساءلت :

هل أحب أبي امرأة غير أمي؟

لا أظن .

ومع هذا فبعض قصائده يدل بوضوح على تأثير إلهام نساء أخريات واضح في إبداعه.

هل يعتبر ذلك تقصيرًا ؟ ما أعرفه أنه كان مثالياً في شعوره بالمسؤولية العائلية..

ولكن من يضمن مشاعر الفنان أمام جاذبية الأنثى؟

ومن يدري كيف يتفاعل الفنان مع دوافع الإلهام ومغرياته؟

وهل هناك إبداع فني دون مصدر إلهام ما؟

كان أبي يحتفي بالمبدعين أدبياً وفنياً دون تفرقة في النظرة التقييمية بناء على انتماء لجنس الذكور أو الإناث، بل ربما أقول إنه كان متعاطفاً مع محاولة أي امرأة للخروج عن قيود التجهيل والتجاهل التي اعتادها المجتمع حتى فرضها عليها .

لم يكن يجد أن تعبير المرأة عن قدراتها تجاوز للمفروض بل هو ما يجب أن يكون.

كان يحترم النساء المبدعات أدبياً خاصة نازك الملائكة التي أعلم أنه عاصر بداياتها المبهرة، وكان معجباً جداً بتفرد قصائدها وجرأتها في تحدي السائد الأسلوبي، وكثيراً ما قال لي إنني في شعري أذكره بها. وله قصيدة رقيقة بعنوان « ولكن لماذا ؟ « رد بها على قصيدة لها بعنوان « لنفترق» ، ما أظن قصيدتها كانت أصلاً موجهة له شخصياً ولكنه انفعل بها كمبدع متذوق فتجاوب معها شعراً . وقد قال لي يوماً حين شكوت إليه ما أراه من تأثر الآخرين بقصائدي، إن التأثر بإنتاج المبدع إلى حد التفاعل معه هو أكبر تقدير وشهادة فعلية بتميز ذلك الإبداع.

وبالمثل يبدو في قصائد ديوانه « شموع» يتوجه بالحوار في شعره إلى امرأة أخرى كانت زميلة مذيعة أوحت إليه بقصائد قد تكون الأرقّ والأكثر عذوبة بين كل ما أبدع والأقرب إلى التعبير الذاتي عن مشاعره من قصائده الأخرى.

كان أبي يرى في المرأة مصدر الجمال في الوجود، وليس المقصود ذلك الجمال الجسدي المتمثل في جسد أنثوي لدن، بل كان شديد الحساسية لرقة المرأة وحنانها وعاطفتها الدافئة . ولعل افتقاده لحنان الأم منذ الطفولة الأولى هو ما شكل الأساس لهذا

التعلق بدفء الأنثى والتحيز لها كإنسانة مكتملة العاطفة والشعور والموهبة، حتى لو لم تحظَ بصقل فكري من حيث التعليم العلمي.

لم يكن والدي مقتنعاً بفكرة انفصال العالم جذرياً إلى عالم رجال يسوده المنطق وعالم نساء تسوده العاطفة . كان يرى أن كليهما إنسان تحكمه العاطفة ويمكنه أن يسعى لسيادة المنطق والحكمة وعبر اكتساب المعرفة. كلاهما يمتلك عقلاً ومواهب هي هبة الله للكائن الإنساني بغض النظر عن جنس ذلك الكائن.

وكنت وشقيقاتي محظوظات بمثل هذا الإيمان منه.

هكذا في حالتي الخاصة وجدتني أتفرد بين قريناتي منذ الطفولة بأنه أشرع لي باب «عالم الرجال» الممتنع على كل أترابي، فقد كان لا يجد غضاضة أن يصطحبني معه إلى مشاويره والرحلات الرجالية والسينما والنادي.

النادي هذا كان «نادي العروبة» العتيد وكان ضمن برامجه أن يستضيف «بهلواناً» إيرانياً أو«ساحراً» هندياً في مناسبات متباعدة. ما زلت أتذكر نكهة متعة تفاصيلها الطفولية بسعادة، ولكنني أتذكر أيضاً تفاصيل أخرى لحضور والدي في النادي حيث كنت أستمتع بمراقبته يلعب الشطرنج، وقد كان بارعاً في هذه اللعبة ، أو يتحاور مع الأعضاء الآخرين، وربما ذاك ما علمني أن الحوار فن ومتعة. وقد وهب الوالد نادي العروبة فيما بعد محتويات مكتبته الشخصية لتكون مكتبة عامة في حرم النادي مفتوحة لاستخدام الجميع .

وهكذا ابتدأت في ظل وجوده الحاني رحلة اكتشاف التفاعلات الاجتماعية والتذوق للإبداع والفن والأدب . أتذكر تلهفي على مرافقته طفلة تتشبث بكف والدها حين يصطحبها معه إلى السينما لمشاهدة الأفلام الهندية والغربية أو في مشاويره عصراً إلى الحدائق العامة في ضواحي « المنامة» حيث كان يلتقي بأصحابه ورفاقه من الأدباء والمثقفين، بل ربما هم أقرب لأن يكونوا من تلامذته من حيث فارق السن، أذكر منهم: أحمد محمد الخليفة، وعبد الله الطائي، وناصر بوحيمد، وأصغي صامتة لحواراته معهم . وكم

كانت حوارات غنية ومثرية حول ما يعنيه الإبداع والفن، وما يدور في العواصم العربية البعيدة ومراكزها الثقافية من تيارات ستشكل فيما بعد علاقتي بالأساليب الأدبية المستجدة ، تلك كانت مؤشرات أضاءت للصبية درب تقدير الإبداع وتذوق الفن.

تلك الحوارات لم يكن هناك ما يضاهيها في مجتمع النساء.

وكثيراً ما عبرت رفيقاتي في المدرسة عن إعجابهن به ، وغبطتهن لي لكوني ابنته، وقد يتمنين لو كانت لهن مثل تلك العلاقة مع آبائهن، ولعلني الآن أكثر فهماً لأبعاد مثل تلك الأمنية منهن، وأعلم أن الكثير من المثقفات والرائدات في الحركة النسائية في البحرين يعتبرنه أباً روحياً لتعليم المرأة.

وفعلاً لم يكن والدي يرى في كيان المرأة ما يجعلها قاصرة عن النجاح في أي مجال، بل كان يؤمن أن المجتمع بحرمان الفتاة من بناء قدرتها في أي مجال وتحجيم مجالات مساهمتها هو ما يجعلها عاجزة عن تحقيق ذاتها وإثبات قدرتها على المساهمة والعطاء، ولذلك آمن بضرورة تعليمها ومصيرية تشجيعها وبناء قدراتها ودعم طموحاتها ومواهبها دون تفرقة بينها وبين أخيها، وإن كانت لها أيضاً مسؤولية دورها العائلي الأمومي كبانية للأجيال القادمة.

وقد طبق ذلك الإيمان في حياتنا الخاصة فقد تولى تعليم شقيقاتي الأكبر في المنزل حتى افتتحت المدارس الرسمية لتعليم الفتيات ، وكان من أول من أرسلوا بناتهم إلى المدرسة حين افتتحت مدارس البنات الحكومية، وكان ذلك في مواجهة معارضة مجتمعية بل وأسرية حادة. ثم سمح لهن بالعمل كمدرسات بعد أن نلن الشهادة الابتدائية، كما سمح للتاليات منهن بالسفر ضمن أول البعثات الحكومية لإرسال المتفوقين والمتفوقات إلى الخارج في بعثات حكومية لمتابعة الدراسة.

كيف كان والدي يرى المرأة بهذه الرؤية المتقدمة على عصرها ومحيطها تطبيقاً حيث يراها كياناً أساسياً في الوجود العام قادرة أن تكون مكتملة الحقوق والمسؤوليات ومطالبة ببناء ذاتها وتحقيق إمكانياتها والمشاركة والبناء .. ثم يتناولها في شعره بصورة الأنثى الملهمة جسداً وعاطفة؟

هل كان هناك ازدواجية في الموقف من المرأة بين جانبين في شخصيته :المصلح الاجتماعي والفنان ؟

لا أظن .. بل كان بإمكانه بتكوينه الثقافي استيعاب كل جوانب كيان المرأة ووجودها الشامل.

وهذه هي رؤية والدي للأنثى كما عبرعنها شخصياً بكلماته أستعيدها بتصرف من الذاكرة:

«جئت صبياً يحمل شعوره بالغربة إلى وطن واقعي شديد الجفاف لم أعرف تفاصيله في طفولتي .. وكنت متعطشاً لدفء حنان الأمومة الذي حرمت منه بحرماني من أمي رضيعاً، ولذلك ظلت المرأة ورقة وجود الأنثى خيالاً ألوذ به من جفاف المحيط القريب.. ولكنها ظلت في نظري ذلك الكيان الذي يستحق الاحترام والأقرب شفافية بعاطفتها إلى الكمال الإنساني. هي الكيان الروحي الذي يحيل المنزل الحجري البارد إلى سكن دافئ بالحنان، وهي المعنى الأعمق للوجود حيث تجعل من الاستقرار هدفاً لتكون الحياة الإنسانية استمراراً لا التقاء بشرياً عابراً.

وزاد من حدة الشعور بجوهرية وجود الأنثى في معادلة الوجود أنني جئت من عالم مختلف مغرق في الخيال والأساطير، يحتفي بالأنثى كجزء جوهري في الخارطة الشمولية للوجود الطبيعي والروحاني ويرفعها إلى مستوى التبجيل والمطالبة بدور المعبودة الطاهرة المستحقة للإيمان والمفجرة للإلهام، ووجدتني قد انتقلت في حرمان مضاعف مباشر وغير مباشر، مجتمع الخليج الذي لا يسمح فيه للأنثى بالتعبير عن وجودها الخاص، لا يمكن أن تراها أو تسمعها إلا في الخيال.

ولذلك حملتها في خيالي إلى أقصى ما يمكن أن يسمح به الخيال من الأنوثة والمثالية الأخلاقية».

وحين أتأمل في قصائد والدي أجد حضور المرأة فيها طاغياً ومليئاً بالتحيز لها ككائن قادر على وصول أقصى درجات الكمال؛ فهي بتكوينها الجسدي تمثل أوج الجمال،

وهي بتكوينها العاطفي تمثل العطاء والتضحية والطهارة والحكمة الأزلية. ولعله أسبغ على المرأة من رؤاه الخاصة وتعطشه للحنان ما هوفوق ما عايشه فعلاً في واقعه من حيث وجودها حوله كحقيقة بشرية بعيدة مثل الرجل عن مثاليات الخيال.

وظل يقاربها بالكثير من الاحترام والتبتل كما نرى في قصيدته المطولة «إليها» حيث يناديها: « يا ابنة النور» ، و« يا ابنة الفن ».

وحتى حين يوغل في رسم تضاريسها الجسدية في قصيدة «التمثال الحي»، أو قصيدة « تامارا» ، فهولا يفعل ذلك بشبق شخصي بل يحاول تسجيل مدى انفعال الرجل عموماً باكتمال الجمال في جاذبية جسد الأنثى.

كان والدي حتى قبل عصر التنوير من المؤمنين بحق المرأة في الحرية ولكنها حرية الفكر والحضور والتعبير عن الشعور ، وهي حرية مختلفة عن تلك التي طالب بها نزار قباني لاحقاً. لم يكن إطلاق الجسد لغرائزه هوما تمناه والدي للمرأة بل تحرير العقل من ظلمات الجهل وكوابيس قيود بعض الأعراف .

وكان يسعدني فعلاً أن لا أجد في شعره ما يهين كرامة المرأة من عبارات ترتبط بالشبق المباشر الذي كان سائداً عند بعض مجايليه مثل فؤاد الخشن ومحمد علي الحوماني حتى قبل سطوع مرئيات نزار.

الفن بين الريادة والانتماء:

كثيرون ، رجالاً ونساء، من الذين شاركوني والعائلة أحزاننا في وفاة الوالد، شملت تعزيتهم لنا هذه العبارة « هو والد الجميع»، ولم يكن هذا يأتي من فئة الأدباء فقط بل حتى من المعارف الآخرين والبسطاء الذين ربما لم يستوعبوا من تفاصيل ريادته ومسيرته الأدبية المتفردة سوى أنه معروف جداً ومشهور حتى خارج حدود وطنه الوادع.

أي قدر من الإعزاز والتقدير هذا الذي يجعل « الأستاذ» « والد الجميع»، وباختيارهم؟

حياة ابراهيم العريض – التي توغلت تفاصيلها في كياني بحكم كوني الابنة التي ورثت منه حساسية الشعر وخصوصية الاحتفاء بالحياة– كانت مليئة بالتوهج حتى خارج نطاق عالم العائلة وساحة الشعر والأدب والنقد، فقد كان مثالاً لشخصية الفرد الموسوعي الثقافة والمتفاعل مع مجتمعه بعلاقة حب عفوية المراوحة بين الرغبة في دفعه إلى الأمام والضيق بقصوره عن التحرك بحركة سريعة متحرراً من قيود التخوف والتوجس من ما لا يعرف وما لم يعتده. علاقة خاصة لا يعرفها إلا نخبة من المتميزين لا تنحصر في تقبل معطيات ما سبق من أعراف ومتقبلات مجتمعية دون تساؤل ، ولا تنبع من النرجسية أو حب الظهور الفردي، وقد ظلت تلك الخاصية المختلفة طابع تفاعله مع محيطه عبر قرابة القرن من التفاعل الحي المتفرد، بدءاً بتأسيس مدرسة أهلية متطورة المنهج حتى قبل أن تكون هناك مدارس رسمية، وحتى ترؤسه للمجلس التأسيسي الذي أعد مسودة الدستور البحريني ، كما هي طابع إبداعه الخارج عن الإطار المعتاد محلياً من البداية حتى النهاية.

كل ذلك يثير في ذهني تساؤلات جوهرية في معني الانتماء والريادة والبناء.

وهل كل من يعتبر نفسه مثقفاً يفهم أبعاد هذه العلاقة ؟

في السنوات العشرين الأخيرة وأنا أتابع – بمعايشة شخصية أو عبر متابعة التغطيات الإعلامية تلفزيونياً وصحفياً – توالي احتفاءات الساحة الثقافية عربياً، والرسمية والشعبية في البحرين والخليج بشاعر البحرين يتردد في ذهني سؤال جذري: «من الذي يزرع الانتماء ؟ الإنسان؟ أم المجتمع ؟». وهل كل من حلم بالوصول الى رتبة الرمز يستحقها لأنه يود الحصول عليها أم لأنه يستحقها بمواصفاته الخاصة؟

هل يبدأ المبدع مميز التوهج أم يصقل ذاته أم تصنعه أصداء التصفيق وتسليط الأضواء؟

هل فروض الانتماء كما يتفهمها ويتقبلها المجتمع السائد تبني المبدع الرائد أم تخنق جذوته واحتمالات ريادته؟

تعود إلى ذهني تفاصيل حياة هذا الشاعر الذي قال عنه مارون عبود: « ما عرفنا البحرين إلا حين عرفنا إبراهيم العريّض»؛

كيف ابتدأ أول تواصل له مع الحياة غريباً محروماً من كل انتماء حتى أصبح بعد عمر مديد رمزاً للانتماء الأجمل بكل معانيه وتطبيقاته.

كيف أضحى الرضيع اليتيم والصبي الغريب ذلك الرجل المعروف ، الرائد الذي يحترم تميزه الجميع ويخرج في توديع جثمانه الأعيان والبسطاء، ويخلد اسمه في لائحة الشرف في وطنه الإقليمي الصغير والقومي الكبير؟

لأعد إلى البدء..

مع مطلع الربيع في عام ١٩٠٨ ولد في ضاحية « بونة» من مدينة بومباي مولود لجدي عبد الحسين إبراهيم العريض، تاجر اللؤلؤ البحريني، الذي استقرت به متطلبات تجارة العائلة في تلك البلاد البعيدة، من زوجته الثانية جدتي «نائلة» من عائلة النائلة في كربلاء. وقد توفيت أمه بعد ولادته بشهر متأثرة بحمى النفاس، فاحتضنته جارة هندية طيبة ثم تولت أمور رعايته سيدة هندية أخرى، بينما انشغل أبوه بأمور تجارته وحياته وتزوج سيدة أخرى. تربى إبراهيم الصغير يتيماً في غربة عاطفية ولغوية وجغرافية تبلورت إلى شعور محتدم بالغربة الحضارية، وكان الصغير متوقد الذكاء وموهوباً في التعبير وقد استطاع أن يدجن اللغات ويخضعها لفنه ولكنه ظل يعاني من شعوره باليتم والغربة المعنوية مدى حياته العامرة.

تعلم الصبي العربي في مدرسة « أنجمن إسلام» الإسلامية الخاصة حيث كان يتعلم أبناء الطبقة القادرة من الجالية المسلمة، وكان متفوقاً في دراسته موهوباً في الفن والاستعداد العلمي والأدبي وظل مشغوفاً بمتابعة العلم، في البدء كان ميله الفطري للرسم كما عشق القراءة وأغرم بالرياضيات ونظرياتها، وقد فهمت منه وهو يستعيد معي ذكرياته عن فترة الطفولة والصبا تلك أنه كان الأول على دفعته في سائر أرجاء الهند في

الاختبارات النهائية. وظل يعشق القراءة بنهم حيث اللغة وقدراتها كوسيلة للتعبير تشده بصورة خاصة وكان استعداده اللغوي مميزاً حيث أتقن الإنجليزية والفارسية والأردية، إلى جانب عدد من اللغات الهندية المحلية الأخرى، ومن ثم بدأ اهتمامه يتركز في جانب ممارسة الكتابة الأدبية.

أما اللغة العربية فلم يعرفها إلا حين زار وطنه البحرين وهو في الرابعة عشرة من عمره، وحين عاد نهائياً عام ١٩٢٦ بعد التخرج من الثانوية اتخذ قراره بدراسة لغته الأم بصورة جادة، وفعل ذلك تحت إشراف معلم قدير هوالسيد عبد المحسن التاجر الذي علمه اللغة العربية على أصولها وسرعان ما أتقنها إلى حدّ نظم الشعر بها .

وربما كان من آثار حياته دون ضغوط عائلية في مطلع حياته في الهند أنه اعتاد اتخاذ قراراته المصيرية بنفسه، وأنه يتمتع بمرونة ذهنية وفكرية، ولم يكن قابلاً للقولبة مما جعل شخصيته تتسم بالاستقلالية، وميله الطبيعي في اتخاذ قرارته في حياته الخاصة والعامة كان دائماً للعودة إلى قناعته الذاتية لا إلى سلطة خارجية تملي عليه تصرفاته، ولذلك كان رائداً بالسليقة يشق الطريق التي يعبرها بعده الآخرون بسهولة .

ولا أشك من محاوراتي المتعددة معه حول مرحلة طفولته وصباه الأول في الهند أنها كانت مرحلة ذات أثر جوهري في نشأته وانفتاح أفقه.؛ أولاً لشعوره الغامر بالغربة، وثانياً لأنه فتح عينيه على معطيات مجتمع متعدد الروافد الثقافية والدينية والفنية يمتلك مخزوناً حضارياً هائلاً.

وقتها في بداية القرن العشرين كانت الهند جوهرة التاج البريطاني وموقع التقاء حضارات شاهقة؛ الحضارة الشرقية بجذورها الآسيوية والإسلامية العميقة في الروحانيات والمنجزات الفنية، والحضارة الغربية يمثلها النظام المستعمر بتأكيدها التفوق التجاري والسياسي. ثم كانت فترة الصراع الداخلي للتخلص من قبضة الاستعمار البريطاني بكل احتشادها السياسي والعاطفي مسبباً حالة من الغليان الداخلي موحدة الجهود من كل الفئات الهندية مسلمة وهندوسية حتى تحقق الاستقلال قبل أن تتفجر

الأوضاع المحلية بعد الاستقلال إلى صراع ديني وأحداث دامية بين الفئات. ولعل في معايشة هذه التجربة من الوحدة العاطفية والتعايش والالتفاف حول هدف أعلى من الأفراد والفئات ما أسس إيمان والدي بشكلية الفروق بين الفئات والمذاهب.

وحين غادر والدي الهند في العشرينيات عائداً إلى موطن آبائه وأجداده الأصلي ظل جانب منه ملتصقاً روحياً بمعالم طفولته وصباه، وربّما فكر في ساعات الضيق المادي والاغتراب العاطفي أن يعود إلى حيث درجت خطاه الأولى ثم يمنعه عن ذلك ارتباطاته الجديدة عائلياً ووشائجه مع مجتمعه الجديد.

ولم تكن اللغة هي الصعوبة الأكبر في استقرار والدي بالبحرين، بل كانت النقلة من أجواء الهند المتحضرة نسبياً إلى أجواء الخليج البسيطة نقلة حضارية ضاغطة المتطلبات على اليافع العائد إلى أحضان أسرة لا يعرفها إلا عن بعد ومجتمع لم يعتد أعرافه ومتقبلاته، وكأنما أيقظت هذه النقلة الحضارية حسّاً مبكراً بالنضج والمسؤولية الاجتماعية.

وكانت أول قناعة توصل إليها أن هذا الوطن الجديد يفتقد الكثير مما يتوفر للفرد في بلاد الله الأخرى، وأن الغالبية العظمى من مواطنيه الغارقين في ضغوط مجتمع غير متطور يراوح في إطار الغوص وصيد السمك والزراعة والتجارة بمستوى شبه بدائي، لا يدركون ما يفتقدون، وأنه ، وهوالقادم من مجتمع أكثر تطوراً علمياً، لن يستطيع تبني موقعهم ذاك وتقبل الاختزال الضمني فيه، ولكنه يستطيع محاولة تغيير مفاهيمهم وتوسيع مدى أفقهم .

وكان أول ما رآه أن وطنه الجديد بحاجة إلى نظام تعليم حديث ومؤسسات تربوية وريادة جريئة.

من هنا جاء قراره أن يؤسس مدرسة توفر مثل هذا التعليم

مدرسة تشمل مسرحًا..

لم يكن غريباً وابراهيم العريض يحمل روح المعلم في أعماقه أن يأتي أول قرار اتخذه أن يحمل على عاتقه مسؤولية إنشاء مدرسة أهلية حديثة تقدم برنامجاً تربوياً لا

معتاداً، وقد استنفر لهذا المشروع اهتمام ودعم النخبة القليلة من أولياء الأمور والأعيان من ذوي الوعي، وحاول أن يستقطب مساعدة الشباب من مواطنيه الذين أتاحت لهم فرص فردية أن يحظوا بالتعليم في دول مجاورة أكثر تقدماً وبمشاركة أفراد الجاليات العربية المتعلمين الموجودين في البحرين.

هكذا جاء مشروع المدرسة يلبي أكثر من حاجة ماسة، ويجذّر وشائج الرائد القادم غريباً بتربة وطن أجداده.

وقتها لم يكن هناك في البحرين ولا غيرها من دول الخليج أية مدرسة غير الكتاتيب المحلية لتعليم القرآن تتيح تعلم القراءة بمستوى بدائي، ولم يكن تأسيس مدرسة مشروعاً سهلاً في مواجهة صعوبات وعقبات متعددة لم يكن أقلها عدم توفر السيولة المالية المطلوبة، هذه وجد حلاً لها في الدعم المادي من تبرعات بعض القادرين من أولياء أمور الطلاب الذين اقتنعوا بأهمية مشروعه، وكما وجد الدعم المعنوي في المتطوعين المتعاونين معه من فئة المتعلمين من الجاليات العربية الأخرى سوريين وعراقيين، أما العقبات الأصعب فكانت تجاوز رفض المجتمع للتغيير ليتقبل إرسال أبنائه ليتعلموا من الأمور ما لم يكونوا يرونه ذا أهمية في حياتهم.

كانت مدرسة متطورة الرؤية والمناهج حيث شمل مقررها عدا تعليم اللغة العربية والإنجليزية والرياضيات والعلوم الطبيعية والإنسانية، تنمية تذوق الفن والروح الوطنية.

ويذكر الأستاذ تقي البحارنة : « المدرسة المتميزة التي انتهى أمرها في أوائل الثلاثينات، ويتذكر إخواني والآخرون الأكبر مني سناً من تلامذة مدرسة العريض ومدرسيها أخباراً غريبة ومثيرة عن هذه المدرسة الفذة وعن أسلوبها غير المألوف، وتمتزج تلك الذكريات بأحداث رائعة كلها من صنع الأستاذ العريض وعن معاناته وصبره في مجال تنوير العقول».

كما يشير الدكتور إبراهيم غلوم في كتابه: « مسرح العريض» إلى قيام الطلاب بتمثيل وإخراج مسرحيات تاريخية صاغها الأستاذ شعراً ملحمياً مثل: « وا معتصماه»، و«بين الدولتين»، وبذلك كان رائداً في المسرح الشعري العربي.

المدرسة لم تدم طويلاً ولكنها دامت بما يكفي لأن تعطي نتاجها الطيب وتقنع المجتمع بتغيير موقفه من التعليم الحديث، حيث تخرج منها العديد من أبناء أعيان البحرين والمقيمين فيها من أبناء الجيرة الخليجية وقادة نهضتها الاقتصادية مستقبلاً، وما زال كثيرون منهم يدينون لإبراهيم العريض بنجاحهم بامتنان . ولكنها تجربة في ممارسة الريادة والقيام بحقوق الانتماء فعلياً ، وهي تجربة مليئة بالعقبات والصراع والمعاناة إذ لم يكن كل المجتمع يؤمن بالتعليم الحديث، ولم يكن كل من يؤمن به قادراً على المساهمة في دفع تكاليف انضمام أبنائه إلى المدرسة القائمة بجهود تطوعية .

وحتى حين ترك والدي مجال التعليم ليلتحق بوظيفة تؤمن متطلبات عائلته النامية ، ظل مؤمناً بأهمية المدارس والتعليم في كل خطوة من حياته.

الغريب الذي أصبح والد الجميع:

من المهم لفهم ظاهرة « إبراهيم العريّض» واستيعاب المدى الذي وصل إليه في نجاحه الشخصي متغلباً على حصار زمنه – إلى الحد الذي جعل البحرين تخرج من دائرة الغياب المعرفي لتعرف عند النخبة المثقفة على أنها وطن الشاعر إبراهيم العريض قبل أن يعرف الشاعر بأنه ابن البحرين – أن نراه ضمن إطاره الزمني والمكاني، وهو إطار شديد الانحصار جغرافياً في جزيرة محدودة المساحة، وشديد الانحصار حضارياً في اقتصاديات عالم البحر من صيد وغوص، يتيح للقلة أن يذوقوا الثراء ويخرجوا من الفقر المدقع ويبقي الأغلبية في إسار شبكة الفقر والجهل والمعاناة.

لم يكن إبراهيم العريض حين عاد صبياً يافعاً إلى البحرين مصلحاً اجتماعياً بوعي كامل، ولا كان أيضاً مغامراً طموحاً يطلب الظهور الشخصي بأية طريقة.

كان مجرد إنسان صادق يعيش توقد جذوة الفن في أعماقه، ويؤمن أن هناك عالماً أفضل يمكن الوصول إليه متى ما أصبحت المثاليات هي ما يؤمن به ويتمسك به الجميع.

وكان يحمل من الاحترام لإنسانية الإنسان ما يجعله لا يرى في أي فرد سوى إنسانيته، وهي ما يؤهل ذلك الفرد لأن يستحق حياة أفضل مبنية على المعرفة والإدراك.

ولذلك جاهد إبراهيم العريض ضد الممارسات المتعارف عليها والمتقبلة اجتماعياً في ذلك الإطار الضيق ليكسر طوق الجهل الذي يُبقي الفرد في قبضة الواقع الضاغط .

لم يكن خروج الوالد عن متقبلات المجتمع تمرداً لمجرد إعلان التمرد وإبراز الاختلاف بل كان يرى أن تلك المعتقدات ضرورية للرقي العام والتطور.

هكذا كان والدي عاملاً مهماً في إدخال التطور والتغير الاجتماعي في النظرة العامة إلى التعليم الحديث، بحيث حمله خارج نطاق التعليم الديني إلى حيث هو شامل لكل المهارات بما في ذلك العلوم والفنون وكل ما يتعلق بشمولية ارتباط احتياجات الإنسان إلى كل ما يتطلبه وجوده المعقد جسداً وعقلاً وروحاً.

ومثلما كان له تأثيره في تغيير النظرة المجتمعية بالنسبة إلى التعليم، كان له دور كبير في تغيير النظرة المجتمعية إلى المرأة ودورها ومساهمتها في المجتمع بصورة خاصة.

وكان له دوره الريادي في عدم الخضوع للضغوط المرسخة للفروق بين الفئات الاجتماعية والمذهبية حين جعل المواطنة تحتم الانتماء إلى وطن هونفسه جزء من أمة ، وليس إلى فئة بعينها من المواطنين، رؤية غير معتادة في تلك البدايات القبلية أن يكون الانتماء إلى أمة شاسعة الآفاق والمنجزات.

وقد أدرك مواطنوه هذا الموقف الصادق منه وحبه للوطن بصورة تتعدى ما اعتادوه من التعبيرات السطحية المتغنية بالوطن إلى ممارسة المواطنة الحقيقية ومطالبة الانتماء بعدم التضحية بالمثالية في التصرفات الفردية، ولذلك أحبه الجميع – بما في ذلك القائمين بالأمور وصناع القرار الرسمي– وقدروا تميزه في مفهومه الخاص لما هوالانتماء، وكان التعبير عن هذا التقدير والاحترام هو اختياره عام ١٩٧٣ لرئاسة المجلس التأسيسي الذي قام بوضع وصياغة الدستور الأول في تاريخ البحرين.

و ربما أحبه الناس على اختلاف فئاتهم لأنه ابتدأ بحب الآخرين و تقبلهم بكل ما يتميزون به من اختلافات.

و لأنه كان صادقاً و واثقاً من مبادئه فقد بدأ بنفسه و الأقربين.

عودنا والدي تقبل التعددية في هذا الوجود والبحث عن المشترك الإنساني الذي يجمعنا و الآخرين بدلاً من الاختلاف الذي يفصلنا في فئة مكتفية بخصوصيتها ورافضة لحقوق الآخرين في التعبير. وعلّمنا تقبّل اختلافات الذائقة وتذوق فنون الآخرين وخصوصيتهم، فهو يحاور أصدقاءه بلغاتهم ولا تحاصره لغته في الاكتفاء فقط بمن يشاركونه قدرة الحوار بها .

اللغة عنده مفتاح للتقارب و التفاهم وليست جدراناً عازلة تفصل من يتكلم بهذه اللغة عَمّن يتكلم بأخرى.

كان بصدق يؤمن بالتعايش و أن الاختلاف هو ما يعطي للحياة نكهتها الأجمل .

و أرى الآن أنه من فتح الأفق الوجودي الأكبر أمامنا فعلّمنا احترام إبداع الله في كل مكان و بأي صورة جاء، و هو قدر أن يستثير اهتمامنا بالفنون المختلفة تشكيلية وتعبيرية في أي موقع جغرافي، وأصر أن يأخذنا إلى المتاحف التاريخية والطبيعية والفنية في كل بلد نزوره. . كان قادراً على تقديم الحقائق العلمية الجافة في صيغة شاعرية الرؤية قابلة لاستثارة التفكير و المتعة الذهنية، هكذا أورثنا استمتاعه بتفهم المعادلات الرياضية وكان حقاً عاشقاً للحقائق في مجال الرياضيات والحساب.

وحين علمنا أن حقيقة الحياة هي في التعددية و ليس في الرأي الواحد ، واحترم مبدأ أن تفهم الوجود وملامسة أبعاده ومعانيه في الحياة لا يأتي إلا من منطلق رؤية جوانبه وتفاصيله و تقبلها بشمولية تكاملها كحقائق علمية وتفاعلات إبداعية تعبيرية؛ وأن اختلاف التفاصيل البشرية المجتمعية لا يعني انتفاء المشترك الوجودي و الموروث الإنساني

الذي يجمع البشرية كلها من حيث هم خلق الله، كان يعيش معنا ما عرف فيما بعد بعقلية ما بعد الحداثة في حين يحيط بنا عالم التفاعلات المعتادة في فترة البدائية الحضارية.

هكذا كان رجلاً ذا أفق واسع في كل بعد من أبعاد حياته .

لم يؤمن بالانتماء الضيق سياسياً في حدود حزبية أو مذهبية و لكنه آمن بضرورة المواطنة الواعية والالتزام بالقانون الساري لحفظ النظام.

آمن بالانتماء الأوسع، بالأمة العربية الواعية لمسؤولية المحافظة على أمجادها وليس بالشعارات الضيقة المفهوم سياسياً فقط : و اعتز بالحضارة الإسلامية بكل جوانبها الفنية والأدبية و افتخر بها و بتميز منجزاتها في إطار الحضارة العالمية المستمرة.

و لم يخضع لفرضيات الانتماء الضيق فنياً في حدود الذائقة المحلية وإبداعياً في حدود المتعارف عليه. في تذوقه للفن شجع حركة التلاقح والإثراء ، و تقبل كونه وريثاً شرعياً لكل الفن الإنساني في عالم أكبر جداً من الأرض التي ينتمي إليها.

و في منهجه التعليمي مارس بصدق شمولية العلاقة بين الفنون و اللغات التعبيرية المختلفة، و بين الفنون التشكيلية و المهارات الحرفية؛ و بين العلوم و الآداب و الفنون.

في استخدام الوسائل الفنية كان مجدداً لا مقلداً و لا منحصراً.

في مواضيعه كان رومانسياً يميل إلى التعبير عن طموحات الطهارة و مثاليات وأحلام الإنسانية والمشاعر الأزلية الدائمة لا الفئوية العابرة. لم يحاول أن يخلد ما يكره في الواقع بل ما يود أن يكون في الإطار الأجمل، ولذلك لا نجد مآسي المعاناة الطبقية والأسرية المعتادة في أدب الخليج بل نجد رصداً لجدلية الصراع الأزلي في نفس الإنسان بين الخير و الشر و البحث عن الحقائق الخالدة.

و استطاع أن يمتاح من خلفيته التاريخية ويستمد روافد محيط إبداعه من حركة التاريخ العربي و الإسلامي في الأندلس و فلسطين و آسيا و الشرق.

حتى في علاقاته الثقافية و الشخصية كان أوسع مجالاً من انحصار المحيط الخاص.

ظل طيلة حياته المديدة يحارب الغربة ويردم الفجوة بين الناس ويرفض مبدأ الأسوار التي تقيمها المبادئ الفئوية، فقد عانى من الغربة في الطفولة والصبا والشباب، وهو الذي في كل موقع من المحيط الخاص عاش فيه كان مطارداً بالغربة حيث هو الذي لا ينتمي بسبب اختلافه بما يتميز به عن المجموع .. هو العربي في الهند بين الهنود، والمسلم بين الهندوس. و في الخليج هو المثقف خارج إطار الثقافة المحلية، وفي حركة الأدب في البحرين جاء قبل المد التعليمي الذي حمل بدايات المبدعين.

و مع هذا استطاع أن يطوع شعوره بالغربة ليوضح للقادمين من المواطنين والمبدعين رجالاً و نساء وطناً يتقبل الجميع و يعتز به الجميع.

وفي كل موقف مارس فيه رفض السائد كان على حق حيث ما يراه هو الأمثل، وظل حتى في رفضه إيجابياً يؤكد على البناء لا الهدم.

هذا إذن ملخص شهادتي لـ «الأستاذ» ، الشاعر الذي فتح لي أبواب الوجود والذي عرفته جيدًا و أحببت تميز رؤيته الفذة :

هو رجل عاش بصدق مدفوعاً لتحقيق حلم لا يدرك تفاصيله متجذر في قلب طفل يتيم صقله الإحساس بالغربة ، و بحسّ فنان و عقل مثقف و إيمان مصلح اجتماعي استطاع أن يقفز برؤيته إلى مجتمع « ما بعد الحداثة» ، مجتمع العولمة الذي يتقبل تعايش الجميع بكل فروقهم و اختلافاتهم، وأن يتجرأ أن يضع حجر الأساس الفكري في الخليج لذلك المجتمع القادم لا محالة.

الدعاء الأخير:

حتى كتابة هذه الكلمات، مر أكثر من شهر على وفاة الوالد ولم أعتد غيابه بعد.

وما أظنني سأفعل فقد كان دائماً رجلاً ذا حضور طاغ .

البارحة كان حفل تأبينه مكتظاً بمحبيه ومعارفه من المسئولين في البحرين، ورجال العلم والأدب في العالم العربي عامة والساحة الخليجية بالذات. و كان احتفالاً مهيباً ألقيت فيه كلمات كريمة.. وأقل ما أقول فيها إنها شهادات يتشرف أبناؤه أن يسمعوها.. شهادات مليئة بالحب والاحترام والتقدير من رجال عرفوه عن قرب ووجدوا فيه ما يذكرونه بالخير. و وزع وقتها كتاب ضم بعض هذه الشهادات الكريمة.

لا يجد من عرفوا والدي صعوبة في الحديث عنه.

أما أنا فأجد في ذلك صعوبات جمة ليس بينها مشكلة القدرة على صياغة الكلمات، تلك قدرة جاءتني بالوراثة، و إن كان الوالد يعترض على فكرة أن المواهب تورث للأبناء.

الصعوبة الأكبر أن لي مع والدي علاقة أخرى غير ما يتعلق بمسألة الموروثات الجينية، علاقة لا أراها تدخل تحت أي تصنيف بسيط .. فهي متداخلة الجوانب والروافد تستعصي على التبسيط والاختزال.

في البدء كانت علاقة عفوية تلقائية لا تختلف كثيراً عن علاقة أي وليدة بوالدها، ثم تنامت الوشائج مع مسيرة العمر وتداخل منعطفات التجربة إلى علاقة فردية تجمع اثنين بينهما تكامل الجذر بالفرع مادياً وذهنياً وعاطفياً.

عبرت معه مرحلة الأسئلة الطفولية تلاحق بها طفلة تفتقد المعرفة أباها الذي تراه عالماً بكل شيء ، إلى مرحلة اختزاله للإجابات في اقتراح مصادر المعرفة وعلى الصبية أن تبحث عنها بنفسها، حتى مرحلة الحوار شبه المتكافئ بين اثنين متفقين على ضرورة البحث عن حقائق الأمور وأبعادها المتداخلة .

ثم .. في المرحلة الأخيرة في زياراتي له كانت محاوراتنا تحمل تناولات أدبية وانفعالات وعنفواناً فكرياً وأبعاداً تاريخية و سياسية تبدو في سرعة حركتها وشموليتها متناقضة جداً مع واقع انحصار حركته الجسدية في كرسي بين جدران البيت المتواضع. ومع ترامي آفاق تفاعلاته الذهنية السريعة بين مخزون ذاكرته الشاسعة ونظرته المستقبلية البعيدة المدى كان تقبُّل فكرة أنه ماضٍ حتماً إلى غياب لابد منه، فكرة متعبة جداً ، مُرّة الطعم و صعبة الابتلاع.

وبعد انتقاله إلى بارئه كان من الصعب بالنسبة لي شخصياً تقبل فكرة غيابه كحقيقة لا يمكن نقضها.

وفي حين نزفت وقتها أقلام معارفه ومحبيه، وفاضت أحبار المطبوعات الصحفية والأدبية كتابة عنه، وجدتني، في حرقة توجعي عاجزة عن التعبير.

القليل الذي استطعت كتابته وقتها جاء بصورة قصيدة قصيرة من وحي آخر حوار لي معه سميتها: « الدعاء الأخير». ربما جاءت تسجيلاً لموقفه ومشاعره في آخر أيامه أكثر مما هي تعبير عن مشاعري الخاصة التي كانت أشد شجناً من أن أستطيع تسجيلها في كلمات.

الآن بعد أن تهادنت مع فكرة غيابه أدرك أن حزننا على فراق الأحبة هو في النهاية تعبير عن أنانيتنا وحبنا لأنفسنا إذ نود الاحتفاظ بهم أبداً رغم علمنا بأن ذلك مستحيل.

✱✱✱✱

الدعاء الأخير

قلتَ لي – إذ تمنيتُ أن يطولَ بكَ العمرُ–:
« لا يا ابنتي ..
سوى أنه أجلٌ بقضاء من اللهِ
لا رغبة أن أؤجّلَ يوميَ عن موعدٍ مسبقٍ
و انتظرُ الارتحالَ الأخير إلى رحمةٍ و فضاءْ

✡✡✡✡✡

قلتَ لي يومَها:
« أمَّتي وجعي يا ابنتي
قارب العمرُ قرناً و ما
شارفت أمّتي وعدَها
دربُها انحدارٌ عن العنفوانِ
و لا أملٌ واعدٌ بارتقاءْ
و ينعقد الدربُ حتى ثمالةِ علمي بهِ
و حلميَ يرتدُّ في الحلق لا يتحقّق نصرٌ ولا أمّتي
تتوضّحُ رؤيتها تستعيد الرجاءْ» .

✡✡✡✡✡

قلتَ لي:
« يا ابنتي سأموتُ وقلبيَ منفطرٌ

يحاصرني الاحتشادُ بأحزانها
وما زلتُ في حسرتي
أمّتي تتناوبُها صفعاتُ الرياحِ
حاصرتْ أفقَها الرازحاتُ ولم نستوِ بعدُ
كلُّ الصفوفِ فلولٌ
و غضبتُنا خارجَ الاحتواءْ».

☆☆☆☆☆

قلتَ لي:
« هو دربٌ يسير إلى حتمهِ
لا يعود إلى بدئه الغضِّ
لا يترفّقُ بالواقفين
لا يتسامح و الغائبين عن الوعيِ
لا خيارَ لمن يكتفي باختيار الوراءْ»

☆☆☆☆☆

قلتَ لي:« قد تعبتُ
من الوقفة المستديمة عند الكلام الأخيرِ
ولا شيءَ بين السطور واعدٌ بانجلاءْ.

☆☆☆☆☆

يتساوى هنا وجعُ الليلِ أو وجعٌ في النهار
لا جسدٌ يتحامل كي يتجمّل
و لا الروحُ راضيةٌ بالبقاءْ.
فادعِ لي يا ابنتي ألا أطيلَ البقاءَ هنا
- دار حزنٍ طويل-
أن أعودَ إلى رحمة اللهِ حين يشاءْ
يتساوى هنا وجعُ الليل أو وجعٌ في النهار
لا جسدٌ يتحامل كي يتجمّل
و لا الروحُ راضيةٌ بالبقاءْ
فادعِ لي يا ابنتي ألا أطيلَ المكوثَ هنا

- دار حزن طويل -
أن أعود إلى رحمة اللهِ حين يشاءْ».

قلتَ لي يا أبي
و ها أنا أفتقد الصوتَ إذ أستعيد الدعاءْ
إلى رحمة اللهِ يا أبتي.. و دار البقاءْ.

الحمد لله على كل شيء..

لقد عاش الوالد عمراً طويلاً حافلاً بالعطاء، وكان خلال الخمسة عشرة سنة الماضية يكرر: « إنه الفصل الأخير يا ابنتي» وكأني به قد ضاق ذرعاً بطول امتداد «الفصل الأخير» هذا، وما حمل معه من معاناة فردية و قومية عامة.

هذا الفصل الأخير كان شاقاً جداً على الوالد رحمه الله جسدياً و معنوياً، وربما كانت المعاناة المعنوية أشد عليه من المشقة الجسدية التي تحملها مرحلة تقدم السن. ولا كان الوالد من أولئك الأفراد القصيري حبل التحمل الذين يعلنون شكواهم بأعلى الأصوات أو يطلبون التعاطف من كل من يحيط بهم، فقد ظل حتى النهاية شديد التجمل ومحافظاً على صورة «الأستاذ» المتمالك لكل انفعالاته حتى في وجود المعاناة.

وما كان يخفف من تلك المعاناة إلا تكاثف محبيه حوله وبقاء تواصلهم معه مستمراً في زياراتهم ومهاتفاتهم .

والحقيقة أن ضيق والدي بواقعه الخاص وواقع الأمة العام كان ألماً مزدوجاً، فهو في أيامه الأخيرة افتقد قدرة الحركة الجسدية بحرية، ولكنه ظل متقد الذهن متابعاً لتطورات أحداث العالم العربي والإسلامي وانعكاسات تلك الأحداث وتأزماتها في أصقاع الأرض، خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر و ما جنت على أبناء الأمة من استعداء وتضييق خناق. ضاق ذرعاً بالواقِعَيْن المتدهورين: واقعه، وواقع الأمة التي أحبها ولم يكن هناك في الأفق الزمني القريب ما يتطلع إليه .. سوى رحمة الله.

✱✱✱✱

و حين ينشر هذا الكتاب- إن تم كل شيء بمشيئة الله على ما يرام - سيكون قد مر نصف عام على عودته إلى بارئه.

نمـاذج من شـــعـــره

الوطن المفدى

سَقَتِ الغادياتُ أرضاً رعتْني
طاب للظبي في رُباها المقامُ
ورعى اللهُ تربةً أنشأتْني
وعهودُ الصِّبا بها أحلام
خلعتْ حسنَها عليها الليالي
وازدهتْ في ظلالها الأيام
وعليها تناثرتْ دُرَرُ القَطْـ
ـرِ انتشاراً وانحلّ ذاك النِّظام
إن غصناً أطلَّ في القلب غنّى
فوقه بلبلٌ وناح حَمام
كلّما اهتزّ جانبُ القلبِ للذِّكْـ
ـرى، فللوجدِ فوقه أنغام
ساقني موطني على البعد شوقَ الطْـ
ـطَيْرِ للظلّ قد براه الأُوام
والمهى للمروج والأرضِ للغَيْـ
ـثِ إذا أمحلتْ وماج القَتام
جئتُها والخشوعُ ملءُ ضلوعي
بعد أن عُلّلتْ بها أعوام
فرأتْ من خلال دمعيَ عيني
أثراً للذين في الربع ناموا

طَـللٌ قـد ضـحـكنَ فـيـهـا الأمـاني
فَـهْي بَـضّـاء لـيس فـيـهـا مَلام
فـاخـلعِ الـنـعلَ إنـهـا تـربـةٌ بُـو
رِكَ في نَـبْـتـهـا سـقـاهـا الـغـمـام
تـربـةٌ قـد تَـسـلـسلَ المـاءُ من تَـحْ
ـتِ رُبـاهـا تَـزيـنـهـا أعلام
لـفـحـتْـهـا الـريـاحُ والـشـمسُ حـمـرا
ءُ ، كـلـون الـزجـاجِ فـيـهـا الـمُـدام
خُـضـرةٌ فـوق حـمـرةٍ قـد جـلـتْـهـا
صُـفـرةٌ فـوقـهـا خـفـقنَ الخِـيـام
وعُـقـودٌ من الـلآلئ يَـهـدي
ـهـا لِـجِـيـد الحـسـانِ بـحـرٌ طـغـام
عَـلِـقـتْـهـا نـفـسي شـبـابـاً وبُـرْدُ الْـ
ـعَـيْشِ غَضٌّ فـطـاب فـيـهـا الـغـرام
لا أرتْـنـي الحـيـاةُ بـعـدكِ أرضـاً
مـوطنَ الـدُّرِّ لا عـلاكَ مـقـام
تـلـك أرضُ الجـدودِ أرضُ أَوالٍ
حلّ مـغـنـاكِ نَـضْـرةٌ وسلام

من ديوان : «الذكرى»، ١٩٣١

****

الغصن الذاوي[1]

لَـهْـفي عـلى غُـصْنٍ ذوى قَـهْـرا
أودى ولـمّـا يُـنـبِتِ الـزْهّـرا
غُـصْنٍ نـضـيـرٍ كـان يـبـعث من
طـيـبِ الـروائحِ حـولـه نَـشْـرا
كُـنّـا نُـؤمِّل أنْ يمـدَّ لهُ
فَـرْعـاً فـنـرفع فـوقه وَكْـرا
ويُـرى نـضـارتُه إذا انـبـثـقتْ
أوراقُه وبـدتْ لـنـا خُـضْـرا
فـأتى عـلـيه الـدهـرُ في قِـصَـرٍ
وقـضى عـلى آمـالـنـا قَـسْـرا
يـا دهـرُ ويـحَكَ كم تُـبـيـد ولا
يـشـفـيكَ مـا تجـتـزّه قـهـرا
كم روضـةٍ غَـنّـاءَ مُـورقـةٍ
أسـدلتَ دون نـعـيـمـهـا سِـتـرا
وطـويتَ غُـصـنـاً كـان مـنـبـثـقـاً
وعـريتَ عُـوداً كـان مُـخْـضَـرّا
يـا دهـرُ في جُـنْح الـدجى دُرَرٌ
مـنـثـورُهـا آيـاتُكَ الـكـبـرى
يـكـفـيكَ لـو أحـصـيـتَـهـا عـدداً
الـبـغضُ من حـبّـاتـهـا الـصُّـغـرى

(١) في رثاء أخته الصغرى، وقد توفيت في ١٩ من ربيع الآخر ١٣٤٩ هـ.

والحـــالُ يـــقـــضي أن تـــكـــونَ بــــهــــا
في غـــبـــطـــةٍ لا تُـــضـــمـــر الـــشَّـــرّا
واهـــاً فــمـــا يـــدعـــوكَ تـــأخـــذ كُلْ
ـلَ خَـــريـــدةٍ من أرضـــنـــا قـــهـــرا
أتـــراكَ إنْ ســـألـــتْكَ والـــهـــةٌ
عـــمّـــا بـــدا تُـــبـــدي لـــهـــا عُـــذْرا

✡✡✡✡

غـــصـــبتْ يـــدُ الأيـــامِ لـــؤلـــؤةً
كـــنّـــا نُـــؤمّـــلـــهـــا لـــنـــا ذُخـــرا
إن الـــتي كـــانت لـــنـــا سَـــكَـــنـــاً
يـــا نـــفسُ فـــاضت روحُـــهـــا حَـــسْـــرى
أودى بـــهـــا الـــدهـــرُ الخـــؤونُ وَلَـــمْ
ـــمَـــا تـــقضِ من عـــهـــد الـــصِّـــبـــا زَهْـــرا
عـــاشت عـــلـــى مـــضضِ الحـــيـــاةِ ولـــو
بـــقـــيتْ لمـــا عـــرفـــوا لـــهـــا قَـــدْرا
ربّي قـــضـــيتَ بمـــا قـــضـــيتَ فـــهل
ألـــهـــمتَ قـــلـــبـــاً حَـــبَّـــهـــا صـــبـــرا
يـــا حبُّ كـــنتَ إذا لجـــأتَ بـــنـــا
تحـــنـــو عـــلـــيكَ قـــلـــوبُـــنـــا شُـــكْـــرا
لـــو غـــاب شـــخـــصُـــك َعن نـــواظـــرنـــا
يـــومـــاً ســـكـــبـــنـــا الـــدمعَ مُـــحْـــمَـــرّا
طـــابت لـــنـــا بـــوجـــودكَ الـــذكـــرى
والـــيـــومَ أنـــدبُ نـــفـــسَكَ الحَـــرّى
كـــنّـــا كـــغُـــصـــنَيْ بـــانـــةٍ حـــمـــلتْ
من كلّ لـــــــونٍ زاهـــــــرٍ زَهْـــــــرا
والـــعـــيشُ في روض المـــنى رَغَـــدٌ
في ظلّ سَـــرْحٍ يـــنـــثـــر الـــدُّرّا

كـــنّـــا زمـــانـــاً لا يُـــكـــاتـــمـــنـــا
أملٌ لأغـــــراض الـــــهـــــوى سِـــــرّا
مـــــا زالتِ الأيـــــامُ تُـــــنـــــذرنـــــا
والـــنـــفسُ تحـــسب عُـــرْفَـــهـــا نُـــكْـــرا
والـشُّـهْبُ في الـظـلـمـاء تـرصـدنـا
وتَـــعُـــدّنـــا ونَـــعُـــدّهـــا دهـــرا
حـــتى ســـكنَّ بـــنـــا عـــلـى جـــدَثٍ
خَـطّتْ عـلـيه يـدُ الـردى سَـطْـرا
لـلـنـفس سـاعـاتٌ تُـسَـرُّ بـهـا
فـتـخـال أنّ خـلـودَهـا يُـشْـرى
لـكـنّـهـا، والحقُّ قـد جـهـلتْ،
في الـقـبـر تـلـقى الـراحـةَ الـكـبـرى

لا أنسَ نـــظـــرتَكِ الـــتي بـــعـــثتْ
في الـــقـــلب من آلامـــهـــا جَـــمْـــرا
أأُخَيَّ قـــد أزف الـــرحـــيلُ فـــهلْ
تـبـكي لـفـقـدكَ أختَكَ الـصُّـغْـرى
في ذِمّـــــة الأيّـــــامِ لـــــؤلـــــؤةٌ
مـكـنـونـةٌ أودعـتُـهـا الـقـبـرا
ويحَ الجُـــســـومِ الـــغُـــرِّ إنْ نـــزلتْ
بـــعـــد الأحـــبّـــةِ مـــنـــزلاً قَـــفْـــرا
يـــا ســـاكنَ الأجـــداثِ هل نـــبـــأٌ
يـجـلـو حـقـيـقـةَ أمـرنـا جـهـرا
حَـدِّثْ بـسـرِّ المـوتِ أنـفـسَـنـا
إن كـــنتَ مِـــمّنْ يُـــدرك الـــسِّـــرّا
يـا حبُّ! خَـبِّـرْنـا الـيـقـينَ بـأنْ
ـنـا سـوف نـحـيـا نـشـأةً أُخْـرى

والجـــسمُ إنْ زالت مـــعـــالـــمُهُ
فـــالـــروحُ تـــبـــقى بـــعـــده دهـــرا
تـــبـــقى تحـــوم كـــطـــائـــرٍ غَـــردٍ
حـــتى تُـــقـــيمَ لـــنـــفـــســـهـــا وَكْـــرا
عُـــودي إذن بـــالحقِّ راضـــيـــةً
مَـــرْضـــيّـــةً يُـــسِّـــرْتِ لـــلـــيُـــسْـــرى
وتَـــبَـــوَّئِي عـــرشـــاً حَـــبـــاكِ بهِ
ربٌّ ســـمـــا فـــوق الـــنُّـــهى قَـــدْرا
طـــوبى لـــهـــا روحـــاً رأتْ كَـــدَراً
في عـــالمٍ يـــعـــثـــو بـــنـــا غـــدرا
فـــمـــضتْ من الأوصـــاب ســـالمـــةً
تـــشـــدو بـــنـــعـــمـــة ربّـــهـــا ذِكْـــرا
يـــا لـــيلُ! لا تَـــمـــنْ عـــليَّ يـــداً
يـــا شـــمسُ! لا تُـــفـــشي لـــنـــا سِـــرّا
إن الحِـــمـــامَ جلاءُ غـــامـــضـــةٍ
لا تـــبـــلـــغـــانِ لـــكُـــنْـــهـــهـــا فِـــكْـــرا

غـــمـــرَ الإلهُ بـــفـــيض رحـــمـــتهِ
لحـــداً حـــواكِ وعَـــظَّمَ الأَجْـــرا
إنْ غَـــيّـــبـــتْكِ صـــحـــائفٌ فـــلـــقـــد
خَـــلّـــدتِ مـــا يُـــحـــيي به ذِكْـــرا
سَـــقْـــيـــاً لـــقـــبـــرٍ قـــد نـــزلتِ بهِ
وســـقى ثـــراكِ ســـحـــائبٌ تَـــثْـــرى

من ديوان : «الذكرى» ، ١٩٣١

أرض الشهداء

فاتحة:

يــا فــلــســطــينُ ومــا كــنت ســوى
بيعـــــةَ الأرضِ
على كفِّ السماءِ
اشْـــهَـــدِي.. أنّ بـــيـــانـي قـــد روى
فيكِ ما يُرضي
قلوبَ الشهداءِ

هـذه الـتـربـةُ.. مُـذ غـنّى بـهـا أهلُ الحـداءِ
لم يُطـهّرهـا من الـرجس سـوى تلك الدمـاءِ
كم زكـا المسجدُ من أعـرافهم، بـعـد الـفـنـاءِ
كم بكى الـغيثُ على أجداثـهم، وَسْط العراء
كم ربـيـعٍ مـرّ.. لم يَـعـرُج عـلـيـهم بـهـنـاءِ
فـاسـتـمـرّ الـعُـود عُـوداً مـا به أدنى رُواء
وشـتــاءٍ.. طـال حـتـى مُلَّ من فَـرْط الـبلاءِ
وتـمـادى الـظـلمُ فـيـهـا لـغُـزاةٍ أدعـيـاء
فـكـأنّ الـلـيلَ شيءٌ مـا له مـعـنى انـتـهـاءِ
ثم.. جـاء الفجرُ يسعى بتباشير الضياء
فـإذا الـبـعثُ.. له أَلفُ لـسـانٍ في الـفـضـاءِ
غَنّتِ الـبـيـدُ بـهـا - ثـانـيـةً - لحنَ الـسـماء
هـذه أرضُكِ يـا دعـدُ ، وأرضُ الـشـهـداءِ!

من: ديوان: «أرض الشهداء»، ١٩٥١

****

يد بيضاء

(١)

بـــــدا مـن أفـــــقه الـــــبــــــدرُ
يُـــــــســــــــامـــــــر جُـلاّسَـهْ
عـــلى مــــهلِ
عـــلى مــــهلِ

٭٭٭٭٭

فــــحـــــرّكَ جــــفـــــنَه الــــزهـــــرُ
وصَـــــــعّـــــــدَ أنـــــــفـــــــاسَهْ
من الـــكـــللِ
إلى الـــقُـــبَلِ

٭٭٭٭٭

نـــفض الـــبـــدرُ عـــلى الـــغُـــصْـ
ـنِ الـــــذي حــــيّــــــاه.. نُـــــورَهْ
جـــــاعلاً من أصــــــغـــــــر الأَوْ
راقِ في الحُــــسن نَـــظـــــيـــره
مُـــلْـــقِـــيـــاً لـــلـــزهـــر دُرّاً
كــــلّـــمـــا ألـــقى عـــبـــيـــره
في ريـــــاضٍ نمـــــنـمَ الـــلَّـــيْـ
ـلُ حــــوالَــــيْـــهـــا سُـــتُـــوره
كـــلّـــمـــا اهـــتـــزّتْ مَعَ المـــا
ءِ حـــواشـــيـــهـــا المـــنـــيـــره

رقـــــصتْ بـــــين يَـــــدَيْ دا
ئِـــرَةٍ أُخـــرى صـــغـــيـــره
وزكـــــا في الـــــلـــــيل عَـــزْفٌ
عـــلّمَ الـــطـــيـــرَ صـــفـــيـــره
كـــــاد يُـــــنـــــسي كلَّ شيءٍ
قـــــلـــــبَه إلاّ سُـــــروره
فـــمـــضى يـــهـــتف بـــالحُـــسْـ
ـنِ ، ويـــســـتـــدعي ســـمـــيـــره
صَـــيْـــدَحِيٌّ وَدَّ لـــو شـــا
طَـــرَهُ الـــبـــدرُ شُـــعـــوره
مـــن رأى فـــي راحـــــــــــة الأَوْ
راقِ كـــالـــطـــفل سَـــريـــره
خـــافـــيـــاً يـــحـــســـبه الـــشـــا
عِـــرُ في الـــلـــيل ضـــمـــيـــره

(٢)

رأتْـه وَسْـطَ دنـــــيـــــاهُ
عـــلى الـــغـــصن الـــرَّطْبِ
يُـمـنـيِّـهـا
بـــأنـــغـــامهْ

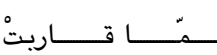

فـــلـــمّـــا قـــاربتْ فـــاهُ
طـــفـتْ قُـــبـــلـــةُ الحبِّ
عـلى فـيـهـا
لإكـــــرامـهْ

لمح الـــــقُـــــمْــــــريُّ خَــــــوْداً
كــــتم الـــلـــيلُ سُــــراهــــا
وأبـي الحــــــسنُ بـــــأن يَـــــطْـ
ــــــويَ أذيـــــالَ صِـــــبـــــاهـــــا
يــــفــــخـــر الـــعـــشبُ عـــلى الـــزَّهْـ
ــــــرِ إذا مَسَّ خُـــــطــــــاهــــــا
ويــــــفـــوح المـــاءُ كـــالـــمِـــسْـ
ـكِ إذا قـــــبّـلَ فـــــــاهـــــــا
جــــمــــدتْ - لمّـــا الــــتـــقتْ عَـــيْـ
ـــــنــاهـــمــــا - حــــيث رآهـــا
إنّه يــــلــــــوي لــــهــــا الجِـــيْـ
ــــدَ فــــتــــرعــــاه انــــتــــبــــاهــــا
«لــــيت شــــعــــري مـــا الـــذي تَـــهْـ
ـــــمِسُ سِــــرّاً شــــفــــتــــاهــــا؟
هـل رأتْــــــــني وَسْطَ دنــــــيــــــا
يَ مُـــــــــطِـلاً مـن ذُراهــــــــــا
أبــــــداً أبــــــتـــــكــــر الــــنَّــــغْـ
ــــمَـــــة َحُــــبّـــــاً في صـــــداهــــا؟»
هـيَ تــــــصــــــغي لكَ يـــــا قُــــمْـ
ــــــرِيُّ فـــاصـــدحْ بـــــهــــواهــــا!
وانْـــــشُــــدِ الــــلــــيلَ لمـــــاذا
سُـــــمِّيَ الــــبــــدرُ أخـــــاهـــــا
ســـيــــلـــوذ الـــوردُ بـــالـــصَّـــمْـ
ـتِ.. وتحـــكي وجـــنـــتـــاهـــا!

☆☆☆☆☆

(٣)

شـــدا الـــقُـــمْـــرِيُّ بـــالحبِّ
فـــــهل بثَّ أشـــــجـــــاني
بـتـجـويـدهْ
عـــلى بـــانهْ

فـــقـــد وَقّع من قـــلـــبي
عـــــلى وتـــــرٍ ثـــــانِ
بـتـغـريـدهْ
وألحـــــانهْ

وشـــدا الـــقُـــمْـــريُّ بـــالحُـــبْ
ـبِ كـــمـــا شـــاءت وشـــاءَ
نـــاعـــمـــاً يـــبـــعث مُـــوسِـــيـ
ـــقـــاهُ في الـــنـــفس هـــنـــاء
مُـــوقِـــظـــاً في طَـــرْفـــهـــا الحـــا
ـلِمِ أشـــبـــاحـــاً وضِـــاء
فـــكـــأنّ الأرضَ عـــطـــشى
صـــادفت في الـــشـــدوِ مـــاء
واســـتـــحـــالت أنجمُ الـــلَّـــيْ
ـلِ جـــمـــيـــعـــاً شُـــعَـــراء
كـــلُّـــهـــا تـــخـــفق بـــالحُـــبْ
ـبِ ، وتـــهـــتـــزّ غِـــنـــاء
فـــأصـــاخت وَهْي لا تَـــأْ
لُـــو بـــعـــيـــنـــيـــهـــا احـــتـــفـــاء
في يـــد الـــظـــلـــمـــاءِ حـــتى
نَـــشَـــرَ الـــصـــبحُ لـــواء

صـــوتُه يـــغـــمـــرهـــا بـــالْ
ـــلَـــحْنِ كـــالمـــاء صـــفـــاء
تـــــــارةً يمـلأ أُذْنَـــــــيْ
ـــهـــا وطَـــوْراً يـــتـــنـــاءى
ويـــــداهـــــا فـــــوق خَـــــدَّيْ
ـنِ ، قـــد احـــمَـــرّا حـــيـــاء
تـــشـــهـــد الـــظـــلـــمـــةَ نُـــوراً
وتـــــــرى الحـبَّ رجـــــــاء

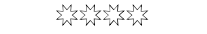

(٤)

أفـــاق الـــفـــجـــرُ من حُـــلْـــمِهْ
فـــمن عـــلَّم الـــشـــادي
يُـــبـــاكـــرُهُ
يُـــنـــاديهِ

بـــأن الـــنـــهـــرَ من نَـــظْـــمِهْ
وفي شـــطـــرَيِ الـــوادي
أزاهـــــرُهُ
قـــوافـــيهِ

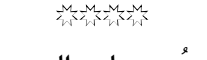

وقف الـــفـــجـــرُ عـــلى الـــوا
دِي مُـــطِلاً من هِـــضـــابِهْ
كـــأمـــيـــرٍ عـــبـــقـــريٍّ
زانه حُـــسْنُ شـــبـــابه
فـــاســـتـــفـــاد الـــزهـــرُ من غُـــرْ
ـــرَتِه لـــونَ خِـــضـــابه
وكـــأنّ الـــفَـــنَنَ الـــمَـــيْ
ـــيَـــادَ نـــشـــوانُ لمـــا به

يــــرفع الـــكـــوبَ الـــذي بَـــيْـ
ـنَ يــــديه بـــحَـــبـــابه
يـــحـــتـــسي الـــطـــائــرُ مـــنهُ
ثُمّ يمـــضي في خِـــطـــابه
فـــكـــأنّ الـــشـــمسَ لا تُـــشْـ
رِقُ إلا فـــي رِحـــــــــابــه
يــا ابــنــةَ الــنــورِ! انــظــري عِــقْـ
ـــدكِ مــنــشـــوراً بـــبـــابه
كـــيف لا يُـــثـــني عـــلـــيك الـــنْـ
ـــنَـــهْـــرُ أثـــنـــاءَ انـــصـــبـــابه
مَـــزجَ الخـــالصُ من تـــبْـ
ـــرِكِ ذَوْبـــاً بـــتـــرابه
وامـــتـــطى الـــصـــبحُ لِـــرؤيـــا
هـــا عـــلــى ظـــهـــر ســـحـــابه
فـــانجـــلى شـــيـــئـــاً فـــشـــيـــئـــاً
كـــلُّ حُـــسْـــنٍ فـي ركـــابــه

✵✵✵✵✵

(٥)

أســـيـــرٌ.. نـــاله الجـــهـــدُ
وأغـــضتْ نـــاظـــريـــهـــا
عـــلى الـــدمعِ
ولـم تـــــدرِ

✵✵✵✵✵

فـــمن ألـــهـــمـــهـــا بَـــعْـــدُ
بـــأنْ تـــثـــني يَـــدَيْـــهـــا
مـن الـــــدرعِ
عـلى الـصـدرِ

✵✵✵✵✵

وأراد الحـــبُّ أن يُـــــــــلْـ
ـــحِقَ «بِـــلْـــقِـــيسَ» بـــغِـــيـــدِهْ

فـــمـــشتْ... داعـــيـــةً لـــلـــزْ
ـــزَهْـــرِ بـــالـــسُّـــقْـــيـــا وعُـــودِه
وفـمٌ حـــــولـــــهـــــمـــــا لا
يـــتـــوانـي في نـــشـــيـــده
في ســـــرورٍ وابـــتـــهـــاجٍ
ذَكَّـــرا المـــرءَ بـــعِـــيـــده
تـــــارةً مـن وَسَـطِ الـــغـــا
بِ ، وأُخْـــــرى فـي حُـــــدوده
ريـــثـــمـــا تـــأتي إلى قَـــصَ
ـــرِ أبـــيـــهـــا في بُـــنـــوده
فـــتـــرى في رَدهْـــةِ الـــقَـــصْ
ـــرِ أمـــيـــراً في قُـــيـــوده
ســـابـــحـــاً في دمـه مِنْ
أثـــرِ الجـــرحِ بـــجِـــيـــده
حـــاســـرَ الـــرأسِ يـــجـــرّ الـــسْ
ـــسّـــاقَ جَـــرّاً في حـــديـــده
أســـروه بـــعـــد أن فَـــجْ
ـــجَعَ في خـــيـــر جـــنـــوده
فـــــإذا مـــــرّوا بـه.. أَلْ
ـــقَتْ عـــلـى دامي جُـــهـــوده
نـــظـــرةً تَـــنـــزل كـــالـــطْ
ـــطَلِّ عـــلـى قـــلب عَـــمـــيـــده

(٦)

تـــمـــلّكَ حـــبُّه قـــلـــبي
فـــفـــوق الـــدمعِ جـــفـــني
ومن سِـــلْـــكِهْ
عـــــلى دُرِّ

ومـــــا يـــــنـــــفـــــعه قُــــربي
إذا لـم يُــــــــمَـــــــكِّـــــنّي
عـــلى فـــكّهْ
مـن الأســـــرِ

☆☆☆☆☆

وأحـــــــبّتْ «طـــــارقـــــاً» بِـــــلْـ
ـــــــقِـــــيسُ من أوّلِ نَـــــظْـــــرَهْ
فَـــــهْيَ من شُــــرفــــتــــهـــا تَــــرْ
قُبُ في الــــــبُــــــرْج مَـــــــقَـــــرّه
وَهْي في خــــلــــوتــــهـــا تُـــحْـ
ـــــــيِي مـع الأنجـم ذِكْــــــــره
كـــلّـــمـــا نـــاجت أخـــاهـــا
غــــمــــرَ الإشـــفـــاقُ صـــدره
وتــــــوارى خــــلــفَ رقْــــرا
قٍ؛ من الــــغـــيـمِ بـــحَـــسْــــره
كــــعــــذارى الــــديــــرِ لا يَـــمْـ
ـــلِـــكْنَ دفـــعـــاً لمـــضــــرّه
كــــيف تُــــفــــضي بــــهــــواهـــا
إنـــهـــا تـــخـــشى الـــمَـــعَـــرّه
«أيّـــــهـــــا الـــــقَسُّ الـــــذي لم
يـــــنسَ في الآحــــــاد بِــــــرّه
الـــنـــواقـــيسُ تُـــــدوّي
والــــتــــرانــــيمُ مَــــسَــــرّه
ومــــلاكــــي .. فـــي صــــلاةٍ
تـــملأ الــــعـــيـــنـــين عَـــبْــره

لـــــيـــتـــهـــا تـــبـــلـغ مَنْ شـــا

طَـــــرَهُ قـــــلـــــبيَ أَســــــره

أفـلا تـــــــدعـــــــوه أنْ يَـــــــرْ

فَعَ (لـــــلـــــعـــذراء) «شُـــكْــــره»

☆☆☆☆☆

(٧)

قـــضـى في الأَسْـــــر أيـــامـــاً

كـــأنّ الـــيـــومَ شـــــهـــرُ

من الـــطـــولِ

بـــظـــلـــمـــاءِ

☆☆☆☆☆

ولا يـــــقـــــتـــــات إلاّ مـــــا

يُــــــمــــــوّنُهُ الأَسْــــــرُ

مِنَ الـــفـــولِ

مـع المـــــاءِ

☆☆☆☆☆

ويمـــــرّ الـــــيـــــومُ تـــــلـــــوَ الْـ

ـــــيَـــومْ رَهْــــنـــاً بـــشَـــكـــاتِهْ

هـي في فـــــردوســـــهـــا تَـــجْـ

ـــــني بـــــخـــــوفٍ ثـــــمـــــراته

والـــــفـــــتـى عن عـــــالم الـــــفِـــرْ

دَوْسِ مـــــشـــــغـــــولٌ بـــــذاته

يـــــبـــــزغ الـــــنـــــورُ عـــــلـــــيهِ

ســـــارحـــــاً في ظُـــــلُـــــمـــــاته

يـــائـــســـاً في غـــمـــرات الـــسْـ

ـــــسِـــجنِ حـــتّى من نَـــجـــاته

فــــإذا اشـــــتـــــدّ عــــلـــــيه الـــضْـ
ـــــــضَـــــغْطُ من جَـــــوْر عُـــــداته
عـــاذ بـــالـــفُـــرْقــان يَـــسْـــتَـــفْـ
ـــــــتِحُ في لَـمّ شَتَــــــــتـــــــاتـه
قــــــالتِ الـــــغــــــادةُ: «مـــــا أَمْـ
ـــــــــعَنَ قــــــــومـي فـي أَذاتـه!
آهِ! كـم حـــــــــــاولــــــــــتُمُ أنْ
تـــــفـــــتـــــنـــــوه في صلاته
هـل رأيـــــتُم نـــــورَ مـــــا يُــــضْـ
ـــــمِـــــرُهُ في نَــــــظـــــراته؟
إنـه يـــــــؤمن بـــــــالحُـــــــبْـ
ـبِ ، ولــــــكنْ في صــــــفــــــاته
فــــــدعُـــــــوه لحـــــيـــــاتي
ودعُـــــــونـي لحـــــــيـــــــاته»

☆☆☆☆☆

(٨)

ســلـــوا عن مـــهــجــتي خَـــبَـــرَهْ
فِـــــلـمْ يـــــخـــــتصُّ دونـي
بـــإحـســـاسهْ
وآلامِــــــــهْ

☆☆☆☆☆

دعــــوني أقـــتـــفـي أثـــــرَهْ
وإلاّ أَسْـــــعِـــــدوني
بـــأنـــفـــاسهْ
وأحــــلامِــــهْ

☆☆☆☆☆

بَـــدّدتْ مـــحـــكـــمــــةُ الـــتَّــفْـ
ـــــتِـــيشِ آمـــالَ الحـــزيــــنَـهْ

لـــــيس يُـــرضـــيـــهم ســـوى أَنْ
يُــــنـــكـــرَ المــــســــلمُ ديــــنه
وأبــى طـــــــــــارقُ أنْ يُـــــــــلْ
ـــبِسَ بــــالـــشكّ يـــقـــيـــنه
أإذا لاح صــــــــــــــــــيـــبٌ
مــــرّغَ الجــــبــــهــــةَ دونه؟
هــــو لن يُـــشـــركَ بــــالْ
ـــــلَهِ ولــــو ذاق مَـــنــــونه
وقـــضـــاهـــا لـــيـــلـــةً لا
يـــطـــرق الـــنـــومُ جُـــفـــونه
في اجـــتـــلاء الـــبـــدرِ حـــتى
كـــاد ألاَّ يَـــســـتـــبـــيـــنه
شـــاخـــصـــاً.. في ومـــضـــات الْ
ـــبَـــرْقِ يـــجـــتـــاز سِـــنـــيـــنه
سَـــنَـــةٌ يـــبـــسم مـــنـــهـــا
سَـــنـــةٌ تُـــنـــدي جَـــبـــيـــنه
إنه يــــــذكـــــرهــــا الآ
نَ ، ولا يـــنـــسى فُـــتـــونه
عـــنـــدمـــا شـــارف قُـــرْصُ الْ
ـــبَـــدْر أســـوارَ المـــديـــنه
كـــيف نـــاجـــاه من الخَـــنْـ
ـــدَقِ طـــيفٌ بـــسَـــكـــيـــنه

✲✲✲✲✲

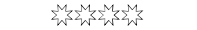

(٩)

تَـــخـــلّلَ ســـجـــنَه نـــورُ
أخـــيطُ الـــفـــجـــرِ ذلكْ
عـــلى الأفقِ
كـــإيمـــانِهْ

✲✲✲✲✲

وحـــــدّقَ وَهْـــــو مــــــذعـــــورُ
ووجـهُ الـــــلـــــيلِ حــــــالكْ
إلـى الــشــرقِ
بـــإنــســـانهْ

يـــــا لـه صـــــوتـــــاً رقـــــيــــقـــــاً
ذاب فـــي أُذْنَـــــــــــــــــيْـــه طَـلاّ
قــــبل أن يــــدهـــــمَـه الـــفَـــــجْـ
ــــــــــرُ ، فـلا يمــــــــــــلـك حَـلاّ
إنــه يــــــــدعـــــــوه أن يَــــــــلْـ
ـــــــتَــــــقِطَ الحــــــبلَ مُـــــطِلاّ
فـــــــــــإذا أوثــــــــــــقـه مِـنْ
نــــفــــسه رَبْـــــطـــــــاً تَـــدلّى
ولـــــــوى طــــــارقُ بــــــالحَـــــبْـ
ـلِ عــــــــلـى الــــــــكـفِّ وتَـلاّ
فـــــراَه مُـــــحـــــكَمَ الــــشـــــدْ
دِ ، فـــــسَــــمّى واســـــتـــــقلاّ
كــــلّـــــمـــــا أمــــسكَ جُــــزءاً
مـــــنـه عن جـــــزءٍ تَــــخــــلّى
هـــالهُ الـــبـــعـــدُ فـــغضّ الـــطْـ
ـــــطَـــــرْفَ خــــوفـــــاً أن يَــــزِلاّ
وتَـــــقـــــرّى حــــائــــمــــاً بـــالْـ
ـــــلَـــــمْس لــــلــــوطء مَــــحَلاّ
ريــــثـــــمـــــا أثــــبتَ خُــــفّــــيْـ
ـــهِ عـــــــــــلـى الأرض وحَـلاّ
ثـمّ ألــــــقى طــــــرفَـه حَـــــــيْـ
ـثُ الــــــــدجى أعــــــــمقُ ظِلاّ

فـــــإذا طـــــيفُ فـــــتـــــاةٍ
تـــبـــهـــر الـــعـــيـــنـــين دلاً

(١٠)

ظـفـرتُ بمُـنْـيَـتي لـمّـا
رمى بـالحـبل جَـنْـبـا
عـلى حَـيْـرَهْ
وحـــاذاني

فـسـمّى لي بمـا سـمّى
وفـاض الـقـلب حُـبّـا
مع الـنـظـرَهْ
إلى الـثـاني

ودنـــا مـــنـــهـــا بـــوجهٍ
بـــاسمٍ.. يُـــخـــفي ذهـــولَهْ
شـــاعـــراً في الـــقـــلب مَـــعـــنًى
عـــاجـــزاً عن أنْ يـــقـــوله
فـــرآهـــا في لـــبـــاسٍ
قَـــلّـــدَ الـــطـــاووسُ طـــوله
آيـــةَ الـــطـــهـــرِ إذا جَـــرْ
ـــرَتْ عـــلى الأرض ذُيـــوله
والـــتـــقتْ بـــالـــنـــظـــرة الأُخْـ
ـــرَى فـــلـم تُـــخْـــطئ مُـــيـــوله
ذكّـــرتْهُ ثـــانـــيـــاً في الـــطْـ
ـــطـــيب أحلامَ الـــطـــفـــوله
ورأتْ فـــيـه فـــتـىً مَـــهْـ
ـــهَـــدَ لـــلـــمـــجـــد سَـــبـــيـــله

تـــتـــمـــنّى الـــغِـــيـــدُ لـــو تَـــظْ
ـــــفَـــرُ مـــنه بـــوســـيـــلـه
اصـــبِـــري! أُلـــهِـــمتِ بِــلْـــقــيْـ
ـسُ من الـــصـــبـــر جَـــمـــيـــلـه
لا يــــــدوم الــــــوصلُ هــــــذا
غـــيـــرَ ســاعـــاتٍ قـــلـــيـــلـه
فـــلـــســـانُ الـــفـــجـــرِ في الـــشَّـــرْ
قِ، يُـــمـــنّـــيكَ الـــبـــطـــوله
كـــاد أن يـــطـــغى عـــلى الـــلَّـــيْـ
ـلِ سَـــنـــاه فـــيُـــزيـــلـه

✲✲✲✲✲

(١١)

حـــيـــاتي فـــيضُ كـــفّـــيكِ
فـــلا أدري بمـــــــــاذا
أجـــــازيكِ
أفـــيـــديـــني

✲✲✲✲✲

فـــؤداي بـــين عِـــطْـــفـــيكِ
وحـــســـبي بـــعضُ هـــذا
بـــنـــاديكِ
إلى حـــــينِ

✲✲✲✲✲

قـــال: «سُـــبـــحـــانَ الـــذي زَكْـ
ـــكَى وجـــودي بـــحـــنـــانِكْ
بـــــعـــــد أن ذقتُ الأمَـــــرَّيْـ
ـنِ ، فـــلـــم أحـــفل بـــذانك
لـــيت شـــعـــري إنّ من كـــا
نتْ عـــلى رفـــعـــة شـــانك

كـــيف تُـــنـــسَى يـــدُهـــا الـــبَـــيْ
ـــــضـــــاءُ.. ملأى بـــــجُـــــمـــــانك
فـــاســـمـــحي بـــلـــقـــيسُ! أنْ أَلْـ
ـــــــثِمَ أطـــــرافَ بَـــــنـــــانك»
بـــقـــيتْ بـــعـــدكَ - يـــا طـــا
رِقُ - حـــيـــرى في مـــكـــانك
هل ســـــألتَ الأُفْقَ عـــنـــهـــا
إذ تـــــوارت عن عِـــــيـــــانك
كـــلّـــمـــا أبـــعـــدتَ عـــنـــهـــا اضْ
ـــــطَـــــرَبتْ مـــثلَ عِـــنـــانك
إنّـــهـــا تـــذكـــر بـــالحُـــسْ
ـــــنَى عـــلـــى دُرٍّ بـــيـــانك
قُـــبْـــلـــةً أودعتَ فـــيـــهـــا
شـــاكـــراً كلَّ امـــتـــنـــانك
واســـتـــفـــاض الـــصـــبحُ ضـــوءاً
واخـــتـــفى صـــوتُ حِـــصـــانك
وَهْـي تـــدعـــو: «يـــا إلـهَ الْـ
ـــــحُـبِّ، خُـــذْهُ في أمـــانك!»

من ديوان : «قبلتان» ، ١٩٥١

****

ذلك الصوت!!

«إليها .. قبل أن أراها»

يا ابنةَ الحسنِ!
... قـــد عـــشـــقـــتُكِ صـــوتـــاً
يـــتـــهـــادَى عـــلـى جـــنـــاح الأثـــيـــرِ
أنـــا أُصـــغـي إلـــيكِ في كِـــلّـــةِ الـــلَّـــيْـ
ـلِ، كـــأني في عـــالمٍ مـــســـحـــور
لـيت شـعـري أيـضـحك الـبـدرُ لي، أمْ
أنـــا في وَسْط حـــفـــلـــةٍ لـــلـــطـــيـــور
لم أكُن قـــبلَ ذلك الـــصـــوتِ أدري
أَنّ في الأرض كلَّ هـــذا الـــســـرور
مـــا وعتْ من لحـــونكِ الأُذْنُ لحـــنـــاً
إنّـــمـــا غِـــبتُ.. غِـــبْتُ بـــين الـــزهـــور
يـا طـريـدَ الجِـنـانِ! عَـرِّجْ عـلى الخُـلْـ
ـدِ، فـمـا ذاكَ غـيـرُ صـوتِ الـبـشـيـر
هُـــوَ كـــالـــروحِ .. في ضـــلـــوعيَ مـــنه
خـــفـــقـــةٌ بـــلّـــلتْ أَرَقَّ شُـــعـــوري
هُـو كـالـورد.. مـا نـشـقتُ بـأنـفي
ريـــحَه، بل لمـــســـتُه في ضـــمـــيـــري
هُـو كـالـصـيفِ... لـيـلُه مـرّ بـالأمْـ
ـــجُمِ، يـــزهـــو في قـــلـــبيَ المحـــرور

هُــو كــالــنــجمِ... مــا تــصــوّرتُ إلاّ

أنّه في الــســمــاءِ بــاتَ ســمــيــري

كــنتُ في ظــلــمَــةٍ، أعــيشُ لــذكــرى الْـ

ــحُــسْنِ، حــتّى حــظــيتُ مــنه بــنُــور

هــو دنــيــا من الــشــعــورِ لــقــلــبي

يــا لَــدنــيــا - في وحــدتي - من شُــعــور

دلهي الجديدة ، ٢٧ من أبريل ، ١٩٤٥

من ديوان : «شموع» ، ١٩٥٦

****

دمية

«إليها.. بعد رؤيتها»

يا ابنةَ الحسنِ!
.... عـــشتُ أهـــواكِ لحـــنـــاً
فـــإذا أنتِ فـــتـــنـــةٌ لـــلـــرائي!
نـــهـــلتْ من جـــمـــالكِ الـــعـــينُ مـــا كـــا
نَتْ بـه الأُذْنُ - قـبـلَـــهـــا - في ارتـــواءِ
كـــنتُ أجـــري مع الخـــيـــالِ، إلى أنْ
لُـــحْتِ ، فـــانـــتـــهـــيتُ من خُـــيَلائي
روعـــةُ الحـــسنِ في تـــأمّـــله الخـــا
لبِ أضـــعـــافُ روعـــةِ الإصْـــغـــاء
أومضَ الحبُّ في ســـمـــاءِ وجـــودي
فـــإذا الـــكـــونُ ضـــاحكُ الأرجـــاء
لا تـــمـــيـــلي بـــنـــاظـــرَيْكِ دلالاً
أمـــهـــلـــيـــني تـــنـــفُّسَ الـــصُـــعَـــداء
دُرّةٌ أنتِ - يـــا لَـــحـــســـنكِ - في جِـــيـ
ـــدِ - الـــلـــيـــالي الحـــســـانِ ذاتُ بـــهـــاء
وردةٌ أنتِ - يـــا لَـــطـــهـــركِ - رفّتْ
حُـــمـــرةً في خـــمـــيـــلـــةِ الـــشـــعـــراء
نجـــمـــةٌ أنتِ - يـــا لَـــلـــحـــظِك - إذ يُـــعْ
ـــلِنُ مـــعـــنى الحـــقـــيـــقـــةِ الـــغَـــرّاء

حَـيّـةٌ أنتِ - يـا لَـسـحـرِكِ - في الإغْـ
ـراءِ، إذ تـنـهـدين بـاسـتـحـيـاء
اعـذريـني إذا تـلـمّـستُ قـلـبي
بـينَ تـلك الـضـفـائـرِ الـسـوداء
دمـيـةَ الـهـنـدِ! أبـدعـتْكِ يـدُ الخَـلْـ
ـلاقِ كي تُـعـبَـدي، فـهـاكِ.. غِـنـائي

دلهي الجديدة ، ٥ من مايو ، ١٩٤٥

من ديوان : «شموع» ، ١٩٥٦

****

مـلاكـي(*)

سلوا النَور، هل بثّ عن أمّها
وعنها حديثاً، رواه القمرْ..

رأتْـــهـــا تـــهشّ له ضـــاحـــكـــاً
فـــجـــاءت تَـــزفّ إليَّ الخـــبـــرْ
وتـــهـــتف بي : «من رأى كـــابـــنـــتي؟
بـــكـــاء عـــلى ضَـــحِكٍ مُـــسـتـــتِـــر
حـــوى ثـــغـــرُهـــا - مـــا تـــرى - دُرّتـــينِ
وفي وجـــنـــتـــيـــهـــا تُـــضيء الأُخَـــر!»

وأقـــبـــلتُ أنـــظـــر في المـــهـــد «هـــنـــداً»
ومن دونه أُمُّـــهـــا تـــنـــتـــظـــر
فـــمـــا هـــزّهـــا من مـــعـــاني الخـــلـــودِ
كـــبُـــرعـــمـــهـــا في الـــهـــوى يَـــثَّـــغـــر
تَـــبـــغّمُ من طـــربٍ كـــالـــغـــزالِ
وكـــالـــطـــيـــر في خـــفّـــةٍ مـــا تَـــقَـــر
كـــأن يـــديـــهـــا - ومـــا هـــمّـــتـــا
بـــشيءٍ - تحـــوشـــان بـــعضَ الأكـــر
أَوَ انَّ عـــلـــى قـــدمـــيـــهـــا يـــداً
تُـــدغـــدغ، فـــهْيَ تُـــزيح الأثـــر
وتـــضـــحك .. يـــا مَنْ أَحسّ الـــورودَ
عـــلـــى ثـــغـــره هـــامـــســـاتٍ بـــسِـــر

(١) إلى روح ابنتي الصغيرة.

ومـا جـاوزَ الـضـحكُ هـمـسـاً، بـلى
صـــداه يـــرنّ كـــجسّ الـــوتـــر
وتـبـكي.. فـأُشْـبـهـهـا بـالـزهـورِ
إذا المـــزنُ خَـــضّـــلـــهـــا بـــالـــدُّرَر
وفي مُـقـلـتـيـهـا تـخـال الـسـمـاءَ
بـــكـــامل أنجـــمِـــهـــا تـــزدهـــر

فـمـا غـمـرتْ حـبَّـنـا نـشـوةٌ
عـلى الحـسنِ، تحت شـعـاعِ الـقـمـر
كـجـلـوة «هـنـدٍ» وقـد أقـبـلتْ
عـلـيـنـا ، تَـصَـعّـدُ فـيـنـا الـنـظـر
فـتـطـفـو عـلى ثـغـرهـا بـسـمـةٌ
نَـودّ مـعـاً لـثـمَـهـا، لـو قـدر
وكم بـــذرتْ أُمُّـــهـــا قُـــبـــلـــةً
فـمِـلَتُ بـفِـيَّ لـقـطف الـثـمـر

ملاكي! حـــوتْكِ يـــدا جَـــنّـــتي
وبـيـنـكـمـا أنـا أَحْـظى الـبـشـر!

عيد الأضحى، ١٩٤٥

من ديوان : «شموع» ، ١٩٥٦

✱✱✱✱

ليـــلاي(*)

«بــورك للعـــروس فــي زفافها

كالسوسن الأبيض في عفافها»

لـــــــيلايَ! بـــــــالأمسِ كـــــــنتِ
كـــــــــأنمـــــــــا «هــيَ» أنـتِ
فـــتـــاةَ حُــلـــمي... الـــتي قـــد
تـــمـــثّـــلتْ لـيَ.. بِـــنـــتي
كم لـــيـــلـــةٍ عـــدتُ فـــيـــهـــا
في وحْـــدتي، فـــأعـــنت
يـــطـــولُ مـــنكِ انـــتـــظـــارٌ
فـــإن ســـكـــنتُ ســـكـــنت
ومـــا رأيـــتُك يـــومـــاً
عـــلى الحـــضـــور مَـــنَـــنْت
حـــــتى إذا لاح صـــــبـحٌ
ســـبـــقتِ لي الـــصُـــبحَ أنت
فـــيـــا لـــهـــا سَـــبَـــحـــاتٍ
تـــمـــرُّ بي، مـــنـــذِ بـــنْت
ذكـــراكِ فـــيـــهـــا كـــنَـــجمٍ
يـــضـــيءُ لي حـــيـــث كـــنت
بـــوركتِ لـــيلايَ عِـــرْســـا !
وطـــبتِ بـــالـــغـــد نَـــفْـــســـا !

☆☆☆☆☆

(١) بمناسبة زفافها في ١٧ من ربيع الأول ١٣٧٠ هـ.

وكيف أنساكِ بنتي!
إذ كنتِ في المهد طفلَهْ
ترعاكِ عيني بحبٍّ
أرى لأمّكِ مثله
وكلُّ دنياكِ زَنْدٌ
وكلُّ زادِك قُبْله
تُقلّبينَ لِحاظاً
وما كلحظِك مُقْله
تَبثّني... وهواها
يظلّ يفعلُ فِعْله
ولا كنومكِ.. لا نَسْـ
ـتَقِرُّ حتى نُظلّه
وتألمين فنخشى
عليكِ من كل غفله
وتنطقينَ فأهفو
كأنّما الكونُ حفله
بُوركتِ ليلايَ عرساً !
وطِبْتِ بالغد نفساً !

✡✡✡✡✡

ولستُ أنساكِ بنتي!
إذ كنتِ بعدُ غريرَهْ
حتى كتبتِ من العُمْـ
ـرِ - باحتبائكِ - سِيره
تَلهين في «العشِّ» شَدْواً
كأنّكِ العُصفوره
عليكِ ثوبٌ طويلٌ
وفي يمينكِ صُوره

تُـــهـــيّـــئـــين لـــهـــا كُلْ
ـلَ جَـــلْـــوةٍ مَـــنـــظـــورَه
فـــتـــنـــثـــرينَ عـــلـــيـــهـــا
معَ الـــصـــبـــاحِ زهـــورَه
كـم ســـــرّنـي أنّ بـــنـــتـي
«كـــعِـــرْســـهـــا» مـــســـروره
أُلـــــفـي إذا غـــــابَ بـــــدرٌ
عـــلـى مُـــحـــيّـــاكِ نُـــوره
بـــوركتِ لـــيلايَ عـــرســـا !
وطـبتِ بـالـغـد نـفـسـا !

ولـــستُ أنـــســـاكِ بـــنـــتيَ
إذ عُـــــدتِ فـي أَخَـــــواتِـكْ
مـــا بـــين صُـــغـــرى وكُـــبـــرى
وكـــــلُّـــــهنّ كـــــذاتك
لـــهنَّ مـــنكِ جـــمـــيـــعـــاً
مـــعـــنى الحَـــيَـــا من حـــيـــاتك
تُـــلـــقّـــنـــينَ «ثُـــريّـــا»
و«مَـيَّ» حُـــسْنَ الـــتـــفـــاتك
كـــأنمـــا كلُّ شِـــعـــري
عـــلـــيه رمـــزُ صِـــفـــاتك
فـــإنْ بَـــســـمتِ لأمٍّ
جـــزتْكِ عن بـــسَـــمـــاتك
بمـــا يـــردُّ لـــثـــغـــرٍ
- أُحـــبُّه - قَـــسَـــمـــاتك

حـــتى لـــيُـــفـــعِمَ قـــلـــبي

مـــا رقَّ من نَـــفَـــحـــاتك

بـــوركتِ لـــيلايَ عـــرســـا !

وطـــبتِ بـــالـــغـــد نـــفـــســـا !

☆☆☆☆☆

ولـــستُ أنـــســـاكِ بـــنـــتيَ

إذ أنـتِ ذاتُ نِـــقـــابِ

تَـــخَـــايـــلـــين عـــلـى مَـــدْ

رَجِ الـــهُـــدى والـــصـــواب

مَـــعـــنِـــيَّـــةً بـــشـــؤونٍ

مـــشـــغـــوفـــةً بـــكـــتـــاب

تُـــدرِّســـين صـــبـــايـــا

بـــلـــحـــنكِ المـــســـتـــطـــاب

وهنَّ مـــنكِ لـــيَـــنـــشـــقْ

ـنَ نـــفـــحـــةً من شـــبـــابي

إذ كـــنتُ - مـــثـــلَكِ - أُعْـــنَى

بـــالـــنشءِ ، رغمَ صـــعـــابي !

حـــتّى إذا عـــدتِ لـــلـــبَـــيْـ

ـتِ عُـــدتِ لـي.. ولمـــا بـي..

ولـــلـــمـلابس تُـــكـــوى

لحَـــفْـــلـــةٍ أو خِـــطـــاب

بـــوركتِ لـــيلايَ عـــرســـا !

وطـــبتِ بـــالـــغـــد نـــفـــســـا !

☆☆☆☆☆

وأمـسِ .. لـــيـلايَ.. أمـسِ

جُـــلـــيتِ في ثـــوب عُـــرْسِ

فـــالـــبـــيتُ يـــرقص تِـــيـــهـــاً
والـــلـــيلُ مَـــشْـــرِقُ شـــمس
لـــقـــد أتـــتـكِ حِـــســـانٌ
يـــخـــطـــرنَ ، من كلِّ جـــنس
يـــــكـــــاد يملأ أُذْني
تـــغـــريـــدُهـنّ بـــأُنْس
كـــأنَّ أمَّكِ مـــا بَـــيْ
ـــنَـــهُنَّ «وردةُ» أمـــسي
أَمّـــا أبـــوكِ فـــقـــد ظَلْ
ـلَ وحـــدَه حـــيث يُـــمـــسي
حـــتى جَـــلَـــونكِ طِـــيـــبـــاً
ومـــا الحـــديثُ بـــهـــمس:
«أخـــتـــاهُ نـــاديه حـــتى
يـــرى الـــعـــروسَ.. بـــنـــفـــسي !
فـــجـــئتُ أنـــظـــر في رَوْ
ضِـــهِنَّ أطـــيـــبَ غـــرسي
طـــبـــعـــتُـــهـــا قُـــبـــلـــةً فَـــوْ
قَ جـــبـــهـــةٍ مـــثل وَرْس
لـــيلايَ بُـــوركتِ عِـــرْســـا !
وطـــبتِ بـــالـــغـــد نـــفـــســـا !

مجلة الأديب - بيروت - ١٩٥١

من ديوان : «شموع» ، ١٩٥٦

****

ولكن لماذا

«إلى أختي نازك»

لماذا تَودّينَ قبلَ التململِ أنْ نفترقْ
وألاّ أعيرَ لعُودكِ أُذْناً وإنْ يصطفق
وهذا الغرامُ الذي كان يُرضعنا كأسَهُ
ويبعثُ كالنار في ميّت القلب إحساسَهُ
يرفُّ علينا
فنغمض عينا
ونُنكره رغمَ هذي الحُرَقْ
ونُخفت في القلب أجراسَهُ

☆☆☆☆☆

أَمَا ظهرتْ في خضمّ الوجود بنا موجتانْ
قضى البحرُ ألا تحسّا التلاطمَ إلا ثوانْ
وللريح ما حولنا - حيث طارت بنا - دمدمَهْ
وقيل لنا إنْ تَألّقَ برقٌ فما أكرمَه
يضيُ الوجودْ
لأقصى الحدودْ
فبانَ لذاتي وذاتكِ شأن
فهلا لقطنا معاً أنجمَهْ

☆☆☆☆☆

سلي كيفَ من بعدنا الشوقُ يبقى على حالهِ
وقد لا تطول بموجدنا حيرةُ الواله

فقد ننتهي قبل أن ترفعَ الريحُ أنفاسَنا
وقد لا نلمّ إلى سجدةٍ غيرها باسَنا
فما ضرَّهُ
وقد سرَّهُ
غداةَ خطرنا على بالهِ
لَوَ انّا جمعنا لها راسَنا

تحدثّتِ عن نغمٍ في الشفاه كوقع الوترْ
تَلمّست في ظلمةِ الليل معناه حتى السَّحَر
فما للّيالي تبوحُ وأنجمُها شاهدهْ
بأن حياتكِ مثلُ حياتي بلا فائده
وطَرْفُ السوادْ
الذي لا يكادْ
يحلم إلا بعمر القمرْ
يعود بأَعْصُره البائدهْ

أبالبرد تشعرُ من داعبتْ شُهُباً بالبَنانْ ؟
أيغمرها الخوفُ من جاء يسعى إليها الزمان ؟
هَبينا غريبين.. باعدَ ما بيننا كلُّ شيْ
أليس - فديتكِ - أزهارُ فنّكِ ملءَ يَدَيْ
خُذي من صلاتي
فإن حياتي
ربيعٌ يجدّده طائرانْ
ستحيين للدفء ما أنا حَيْ

مجلة الأديب - بيروت - ١٩٥٢

من ديوان: «شموع»، ١٩٥٦

****

أهكــذا..

.... في شرقنا العربي :

يعقدُ الجيشُ حفلةً.. باعتدادِ
كلما عادَ خاسرا
هكذا الشعبُ - غفلةً - في بلادي
لا يَملّ المَظاهرا

✲✲✲✲✲

... الناس :

مَنْ أتى الناسَ ضاحكاً.. لأذاهمْ
ضحكوا كلُّهم مَعَهْ
بينما لو بكى بكى لأساهم
وحدهَ.. يا لها ضَعَهْ

✲✲✲✲✲

.... الشرق والغرب :

لا تقلْ: إن في العدى كتلتينِ...
ما عدوٌ كآخرِ...!
قد خبرنا.. فما عدا حالُ ذينِ
بينَ صادٍ وصادرِ

...... الشباب :

يا شباباً، هفا لها ، كفَراشِ
كلُّنا ذلك البطلْ
غايةٌ لن تنالها بارتعاشِ
اِغشَها.. فهي تشتعلْ

✲✲✲✲✲

.... الحرب :

قلتُ للحرب: أينَ أبناءُ صدقِ
صدقُهم من غرورها؟
فاستمرّتْ - ولم تجبني بنطقِ
في لظًى من سعيرها

... الحب :

فُجعت في حبيبها، ذاتَ مَنٍّ
فَهْي تذري شئونَها
أيُّ دنيا وطيبها.. في التمنّي
أسدلَ السترُ دونها

.... الشاعر :

بثَّ في الشعر وجدَهُ، ثم نادى:
خنتَ يا ليلُ بلبلَكْ
فرعى الليلُ عهدَه وتفادى
قولَه بالذي مَلَكْ

.... الماضي :

ذكرياتٌ.. تمرُّ بي منذُ أمسِ
ليت للفجر نورَها
إيهِ يا نفسُ! جرّبي فضلَ كأسي
فَهْي تُعطي سرورَها

.... الجنّة :

لا تـقلْ: مـا رأيـتَـهـا ، فَـهْي مـعـنى
غـاب عـنّـا مـكـانُـهـا
جـنَّـتي قـد أتـيـتُـهـا، حـيـث تُـعـنى
بـجـريـحٍ حـسـانُـهـا

.... المجد

يـا سـرابـاً.. بـعـين رائـيـه حقٌّ
تحت مَجلى سمائهِ
كم من الحَرِّ والـظـمـا رامَ خَـلْقٌ
عـبـثـاً بَـرْدَ مـائهِ

صفر ، ١٣٧٢ هـ

من ديوان : «شموع» ، ١٩٥٦

****

مشاركة

«إلى التي تعيش هناك وحدها»

أنــا لـــستُ وحـــدي في انـــتـــظـــاركْ
في الـــــروض ألفُ فمٍ يُــــبــــاركْ
لـم يـــــــدرِ إلا بــــــلــــــبلٌ
مـــا كـــان عـــنكِ حـــديثُ جـــارك
فـــمـــضى يُـــلـــقّـــنه الخُـــزا
مى في الخـــمـــيـــلـــة حـــول دارك
كم أنـــبـــأتْ طَـــرْفي الحَـــشـــا
ئِشُ عن خُـــطـــاكِ، فـــلـم أُجـــارك
حـــتـى الـــتـــفتُّ.. وكـــان أَوْ
وَلَ مَـــرّةٍ، دون اخـــتـــيـــارك.....
فـــبـــدتْ بـــطـــلـــعـــتـــهـــا كـــشَـــمْ
ـس الأمسِ تـــســـطع في نـــهـــارك
هـــذا الجـــمـــالُ عـــهـــدتُهُ
من قـــبلُ يـــحـــرقـــني بـــنـــارك
عـــطّـــرتُ من ذكـــرايَ مـــا
ضي حـــبِّـــهـــا، فـــأتى يُـــشـــارك

✡✡✡✡✡

يـــا ثـــغـــرُ أَشْـــبَـهُ من رأَيْـ
ـتُ بـــهـــا ، فـــديـــتُكَ في افـــترارك
أُصـــغي لـــســـحـــر حـــديـــثـــهـــا
في غـــيـــر لـــفظٍ من حِـــوارك

أنـــا لاضـــطـــراري قـــد عـــرضْـ
ـتُ مُـــســـلِّـــمـــاً، لا لاضـــطـــرارك
حَـــيِّـــيتُ فـــيكِ ومـــيـــضَـــهـــا
فـــكـــأنّ دُرِّي مـن نُـــثـــار ك
يـــا أخـــتَـــهـــا، يـــا من تَـــجـــدْ
دَدَ فـــنُّـــهـــا لـي في إطـــارك
فـــلَـــوَ انّـــني أدعـــوكِ حُـــبْـ
ــبـــاً بـــاســـمـــهـــا «هـي» لم أمـــارك
أَسْـــرَى عـــلـى الـــعـــشب الـــنَّـــســـيـ
ـمُ ، فـــمـــال مـــيـــلَكِ في نِـــفـــارك؟
حَـــسْبُ المـــفـــجَّعِ أنْ يـــرا
كِ ، وإنْ تَـــمـــلْـــملَ في جِـــوارك

مجلة الأديب – بيروت – ١٩٥٣

من ديوان : «شموع» ، ١٩٥٦

****

حـــواء

تَـــمــثّل الحبُّ لــلــفــنّـــان بـــين يــدَيْ
ذكـراه.. كـالـنـار تـغـشى طُـورَ سـيـنـاءِ
وقـــال حـــين رآه في تَـــمـــلـــمـــلـه
يُـقـلّب الـطـرفَ بـين الـزهـرِ والمـاء
«يـا من عَـكفتَ عـلى الـدنـيـا وزيـنـتَـهـا
حـتى صـمـمتَ عن الأنـغـامِ من نـائي
تحـيـا الحـيـاةَ بلا إلفٍ تـلـوذ بهِ
إلا ارتـيـادَكَ في أفـيـاء فـيـحـاء
حـتى كـأنّ ضـلـوعـاً أنتَ حـامـلُـهـا
تُـطـوى عـلى كـبـدٍ لـيـستْ بـحَـرّاء
هـذا الـوجـودُ إطـارٌ لا كـفـاءَ لهُ
وغـايـةُ الـفنِّ فـيه رسمُ «حَـوّاء»
لـهـا الـشـبـابُ الـذي تـشـفي بـرُقـيـتهِ
مـا كـابـد الـقـلبَ من صـدٍّ وإغـراء
لـهـا الجـمـالُ الـذي تـعـنـو لـعـزّتهِ
فـيـمـا تُـشـاهـد من ظلٍّ ومن مـاء
لـهـا الـودادُ الـذي تـبـقى أشـعّـتُهُ
تـنـيـر خـطـوكَ في طـوفـان أهـواء
كـأنـهـا الـشـمسُ إشـراقـاً.. تُـبـادلـهـا
مـــرآةُ قـــلـــبكِ لألاءً بـلألاء
لا تـكـذبِ الـنـفسَ في مـجـدٍ حـلـمتَ بهِ
فـلـستَ تُـحْـسنُ إلا قـولَ «أهـواهـا»

✡✡✡✡

شُـغِـفْتَ بـالحـسن لا تـنـفكّ تـطـلـبهُ
عـيـنـاكَ .. حـتى ولـو في كـأس صـهـبـاء
ولـيس أجـملُ مـا في الـكـون من أثـرٍ
إلا اقـتـبـاسـاً بـدا من شـكل حـسـنـاء
انـظـرْ إلى شـفـتَـيْـهـا، هل تـرى زَهَـراً
يـفـتـرّ عن نُـقَطٍ كـالـطَلّ وَطْـفـاء ؟
انـظـرْ إلى وجـنـتَـيْـهـا، هل تـرى شـفـقـاً
يـلـوح من شـعـرهـا في وَسْط ظـلـمـاء؟
انـظـرْ إلى نـاظـرَيْـهـا، هل تـرى أَلَـقـاً
كـأنه صـادرٌ عن كـوكبٍ نـاء ؟
مـا في الـطـبـيـعـة من حُـسْنٍ فـمـنـعـكسٌ
عن صـدرهـا الـبضّ في عـيـنـيكَ يـا رائي
وأطـيبُ الـطـيبِ مـا في الخـلـد من زَهَـرٍ
وإنمـا غـرسـتْـهـا كفُّ «حـوّاء»
فـكـيف تُـكـبِـر من شـأن الجـمـيلِ ولا
تُـثـيـبـهـا عن يـدٍ قـبّـلتَ بـيـضـاء
ومـا تـؤمّل في الـفـردوس مـنـفـرداً
إلا رجـاؤكَ أن تَـحـظى بـلُـقـيـاهـا ؟

من ديوان : «العرائس»

****

في سكون الليل

غفا الكونُ... إلا ما يكون من الصَّبا
إذا حرَّكتْ مهدَ الزهورِ النواعسِ
تخاليها - يا ميُّ - طُهراً مُجسَّماً
على كلّ غصنٍ في الخميلة مائس
ويحبس من أنفاسها الليلُ ريثما
يُخالطها بردُ الندى المتقارس
فتُرسل طِيباً حولها في دوائرٍ
تدور إلى أنْ يغمرَ الطيبُ هاجسي
وقد سكنتْ حتى المياهُ كأنها
هنالك تُصغي في الظلام لهامس
يُصقّلها مَرُّ النسيمِ فتنجلي
بها صورُ الأشياءِ شبهُ رواكس
وينظر في مرآتها النجمُ حائراً
فليس يرى إلا شرارةَ قابس
أنزعمُ أن اللهَ أبدع هذهِ
لنقضيَ ريحانَ الصِّبا في المحابس؟

ولا طيرَ إلا وهْو طاوٍ جناحَهُ
على الرأس حتى المنكبين.. كبائس

تـخـالـيـنه من لـفّهِ الجِـيـدِ نـاعـسـاً
ولـكـنّه - يـا ميُّ - لـيس بـنـاعس

فـإن لـذكـرى كلِّ لحنٍ شـدا بـهِ
سـحـابـةَ يـومٍ هـزّةً في المـغـالس

تُـؤرقّه تـلـك الـهـواجسُ مَـوْهِـنـاً
فـيُـشـفق من جَـرّاء تـلـك الـهـواجس

وكم دوحـةٍ في الـروض حـال سـوادُهـا
بـأنـوار بـدرٍ شَعَّ بـين المـغـارس

لـيُـلـبِـسَـهـا من نـسـجه بـعد عُـرْيـهـا
نِـقـابـاً لُـجَـيْـنِيَّ الـسّـنـا كـالـعـرائس

وتحت شـعـاع الـبـدرِ أسـفـرتِ المـنى
وعـايـنـتُـهـا تحـنـو حُـنـوَّ الأوانس

تـعـالَي هـنـا.. نَـخْـلـدْ من الـعـمـر سـاعـةً
يـداً بـيـدٍ في نجـوةٍ وتَـهـامُس

مجلة الرسالة - القاهرة - ١٩٣٧ .

من ديوان : «العرائس»

****

مـــي

ولمـا تـفـيّـأنـا ظلالَ خـمـيـلـةٍ
تَـسـاقطَ مـثلُ الـدرِّ فـوق خُـطـانـا
وحَـدّثـتُـهـا بـالحبّ - وَهْي مُـصـيـخـةٌ
عـلـى أملٍ أن تـلـتـقي شـفـتـانـا
أشـاحت إلى الأزهـار عـنّي بـوجـهـهـا
دلالاً وقـالت لي : «كـفى هـذيـانـا
أتـأمل مـني أن أُصـدّقَ بـالـهـوى
جُـزافـاً.. وطَـرْفي لا يـراه عِـيـانـا؟»

☆☆☆☆☆

فـقلتُ لـهـا : «يـا ميُّ! مـا الـروضُ نـاضراً
ولا الـطـيـرُ أحـلى مـا يـكـون لِـسـانـا
بـأحـسنَ من خَـدٍّ تَـورّدَ في الـصِّـبـا
وأعـذبَ من ثـغـرٍ يـفـيض بـيـانـا
لـقـد كـان أولى أن نُـبـيحَ لـبـعـضـنـا
عـوالمَ بـعضٍ في ربـيع صِـبـانـا
ومـا قـيـمـةُ الأزهـارِ في جـانب الـصِّـبـا
ألـيس الـصِّـبـا - يـا ميُّ - أعـظمَ شـأنـا؟
أُنـاشـدكِ الحبّ الـذي عـهـدُنـا بهِ
سَـويّـاً كـأخـفى مـا يـكـون مـكـانـا
ألم تـشـعـري شـيـئـاً تَـمـثّلَ بـيـنـنـا
لأوّلِ عـهـدٍ تَمّ فـيـه لِـقـانـا؟

أبـعـدَ تـعـاطـيـنـا مـعـاً كـأسَ أُلـفـةٍ

يـجـوز لـنـا ألا نُـحسَّ صَـدانـا؟

فمـا لكِ تَسْتـعدينَ قـلـبي عـلى الـهوى

كـأنكِ مـا شـاطـرتِهِ الخـفـقـانـا !

☆☆☆☆☆

تـعـالَي إلى عـهـدٍ وثـيـقٍ من الـهـوى

نـعـيش عـلـيه في الحـيـاة كلانـا

فلا يـزدهي قـلـبي بـشيءٍ مُـؤَمّلٍ

إذا لم يـصـادف في فـؤادكِ شـانـا

ونُـفـرغ في كـأس الأمـانيِّ حُـبَّـنـا

فـتـسـعى به مـا بـيـنـنـا شـفـتـانـا

ولا نـلـتـقي إلا كـمـا لـفّتِ الـصَّـبـا

فُـروعـاً تـفـيّـأنـا بـهنَّ أمـانـا

ونـخـتـال في روض المحـبّـةِ وحـدَنـا

فلا يـتـغـنّى طـيـرُهـا لـسـوانـا

وإن تـعـهـدي يـومـاً فـؤادَكِ خـافـقـاً

شـعـرتُ لـقـلـبي مـثـلَه خـفـقـانـا

كـأنّ الـذي يـنـسـاب ملءَ كـلـيـهـمـا

صُـبـابـةُ مـا سـاقي الـغـرامِ سـقـانـا

وآنـاً نُـبـكّي كـالـطـيـور وجـودَنـا

بـلـحنٍ... وكـالأزهـار نـضـحـك آنـا

فنُـسـعـد بـعـضـاً بـاشـتـراك سـرورنـا

ونُـسـعـد بـعـضـاً بـاشـتـراك أسـانـا

كـذلك نـحـيـا بـالـسَّـواء... وهـا فـمي

ضـمـانـاً لـعـهـدٍ لـو أردتِ لـكـانـا»

☆☆☆☆☆

فـعـنـدئـذٍ مـالت إليَّ بـبِـشْـرهـا..

ومـلتُ... وأُنـسـيـنـا الـوجـودَ كلانـا

فـأدنـيتُ ثـغـري بـاشـتـيـاقٍ لـثـغـرهـا

فـمـا افـتـرَّ حـتى قـبّـلـتْه حـنـانـا

وطـوّق زَنـدي خـصـرَهـا فـتـمـايـلتْ

عـلـيه بـغـنجٍ ريـثـمـا تَـتـدانى

وقـالت «إذن، هـذا هـو الحبُّ» قـلتُ: «بلْ

هـو الـراحُ» قـالت: «فـلـنـبلَّ صَـدانـا»

مجلة الرسالة - القاهرة - ١٩٣٤

من ديوان : «العرائس»

****

القُبّــرة

تُــحَــوِّم في أفق الــســمــاءِ أصــيلا
كــنــجمٍ تــراءى لــلــعــيــون ضــئــيلا
فــيــتّــخــذُ الــصوتُ الــذي تــســتــجــدّهُ
مع الــريحِ في رحب الــفــضــاءِ ســبــيلا
يــدقّ عــلــى الأســمــاع خــافقَ جَــرْسهِ
فــإنْ أعــلــنــتْه الــريحُ جــاوزَ مِــيلا
وتــدركه شــيــئــاً فــشــيــئــاً غِــشــاوةٌ
من الحــزن حــتى يــســتــحــيلَ عــويلا

أقُــبّــرةٌ! هل أنتِ في الجــوّ قــطــعــةٌ
من الحسّ ســالت بــالــلــحــون مَــسيلا ؟
تُــغــالــين في الألحــان حــتى إذا انــتــشتْ
بــهــا روحُكِ الــولــهى خــفتِّ قــلــيلا
كــمــا تــخــفت الأوتــارُ بــعــد رنــيــنــهــا
ويــبــقى صداهــا في الــنــفــوس طــويلا
فــقــد بــرأ الــلــهُ الــطــبــيــعــةَ وَهْي لا
تُــحسّ به.. حــتى بُــعــثتِ رســولا
فــأحــسنتِ في الــتــرتــيل حــتى كــأنمــا
بــآيكِ ظِلُّ الــروضِ صــار ظــلــيلا

ولَـقـنّـتِـنـا سِـرَّ الجـمـالِ ولم نـكنْ

لـنـدركَ - لـولاكِ - الـوجـودَ جـمـيلا

فـمـا زهـرةٌ في الـروض تـفـتح جـفـنَـهـا

عـلـى الـدمع إلا وَهْي تَـنْـشُـد سُـولا

فـتُـغـريـنـهـا في شـجـوهـا بـابـتـسامةٍ

بـبـثّكِ مـعـنًى لـلـخـلـود جـلـيلا

مجلة الرسالة - القاهرة - ١٩٣٧

من ديوان : «العرائس»

****

ليلـــى

قـلتُ يـومـاً لا بـنـتي لـيـلى وقـد
أخـذتْ ديـوانَ «قـيسٍ» تَـتـغـنّى
فـكـأن الحـسنَ أولاهـا يـداً
فـأرادت بـاسـمه أن تـتـجـنّى:
«طـبتِ يـا لـيلايَ نـفـساً فـافـهـمي
لـيس كـالـشـاعـر في الأرض مُـعَـنّى
هـو من أحـلامـه في جَـنّـةٍ
فـإذا حـدّثَ عـنـهـا قـيل جُـنّـا
كـلُّـنـا طـائـرُه في قـفصٍ
إنمـا يـطـلـقه المجـدودُ مـنّـا
لـو درى الـضـاحكُ في سـكـرتهِ
أنه يـشـرب دمـعـاً لـتـأنّى
والـلـيـالي يـتـطـاولنَ إذا
أفلَ الـنـجمُ الـذي نَـوَّرَهُـنّـا
قُـمْنَ في عـافـيـةٍ من حـبّهِ
يـتـبـاهـينَ به مـا بـيـنـهـنّـا
يـحـسب الـنـاسُ جَـواه أدبـاً
قَلَّ من شـاركه فـيـمـا أَجـنّـا
ثم يـطـوي لـيـلَه صـبحٌ فلا
هـو لـلـحبّ.. ولا مَنْ حَـبَّـهُـنّـا»

فـأجـابـتـني غـنـاءً في الـصِّـبـا
بـالـذي حَـيَّـرَ مَن أكـبـرُ سـنّـا

«لا تسلني - فوجودي عدمٌ -
طائرُ الخلدِ هنا كيف اطمأنّا
هو يهفو لجمالٍ ربّما
خفيتْ آثارُه في الكون عنّا
فإذا شاهدَه في روضةٍ
أو سحابٍ مَثّلَ الإحساسَ فَنّا
والذي يُطربنا من نغمٍ
مُسترقّاً كلّما الليلُ أَجَنّا
لم يكن غيرَ نياطِ الحبِّ في
قلبه كالوتر الحسّاسِ رَنّا
هو في نشوته يُفضي بها
نغماتٍ تملأ الآفاقَ حُسنا
لا تقلْ دنياكَ ظِلٌّ زائلٌ
فشعاعُ الحبِّ فيها ليس يَفْنى
لو تَجلّتْ قدرةُ الخلاّقِ في
لفظةٍ.. صاغ لها الشاعرُ معنى»

وانحنتْ فوق يدي تلثمها
خجلاً - حين رأتْ رأسيَ يُحْنى
ثم قالت وَهْي تلهو بالذي
قُلِّدَتْهُ دون أن تحملَ مَنّا
«حَسْبُ عِقْدي إن حوى واسطةً
ما لها في الدُّرِّ صِنْوٌ فتُثَنّى
عشتَ للشعر ولي يا أبتِ
أنتَ للشعرِ ولي ما أتمنّى»

مجلة الرسالة - القاهرة - ١٩٣٩

من ديوان : «العرائس»

****

قـــلادة

قـضـيتُ شـبـابي بـهـا مُـغْـرَمـا
فـمـا كـان - يـاقـلبُ - أحلاهـمـا
تـــعـــيش بـــأحلامه في ربـــيعٍ
وتحـيـا بـأنـفـاسـهـا مُـلْـهَـمـا

أتـــذكـــر يـــا قـــلبُ ســـاعـــةَ قَـــرّبْـ
ـتُ من فـمـهـا في جـنـونٍ فَـمـا
ومن حـولـنـا الـزهـرُ في حـالـتَـيْـ
ـهِ تُـرقِص أيـقـاظُه الـنُّـوَّمـا
لـقـد كـنتَ كـالـطـفل فـيـمـا تُـحسّ
وإحـسـاسُـهـا كـان بي أَنْـعَـمـا
فـألـهبَ من خَـدّهـا جـمـرتـينِ
وفَـتّقَ من ثـغـرهـا بُـرعـمـا

أتـــذكـــر يـــا قـــلبُ ســـاعـــةَ أرخَـــيْـ
ـتَ فـوق تـرائـبـهـا مُـنْـعِـمـا
قـلادةَ دُرٍّ - زهـتْ كـــالـــدمـــو
عِ حَـبّـاتُه - تـوأمـاً تـوأمـا
وَقَـولي: «اقْـبـلـيه فـدتكِ الحـسـانُ
فـلـو أنّ كـفّي تـطـول الـسَّـمـا

إذن لجعلتُ نُثارك منهُ
ونَظّمتُها ثانياً أنْجُما»
فمدّتْ - لألثمَه - مِعْصماً
وألوتْ على سِمطه معصما
وقالت: «أتنذره هو أيضاً
بتلك النجومِ؟ فما أَشْأما
ملأتَ به بهجةً ناظريَّ
فصدّعتَ بي قلبَه أَعْظُما
أأحقر منشأَه في البحارِ؟
ولولا تَألمُّه ما نما
أَأُنكر عبرتَه في الحليِّ؟
ولم يبكِ إلا لكي أبسما
فحسبي به زاهياً كالنجومِ
وإنْ فاتني حظُّها في السَّما
على الأرض لا يخلد الحسنُ حتى
يُقيم على نفسه مأتما
فيا ليتني إذ سمعتُ الحديثَ
عصرتُكِ - لا أدمعاً - بل دَما

جريدة «البحرين» - ١٩٤٠
من ديوان : «العرائس»

****

توطئــة

دِنتُ بـــالـــفنّ صـــغـــيـــراً مـــنـــذ شبَّ الـــطـــفلُ فِـــيّهْ
لـعـبـةً تـرعى مـجـالـيـهـا الـعـيـونُ الـنـرجـسـيّه
من رأى الخـــالقَ كـــالـــشـــاعـــر يـــخـــتـــار رويّه
كـــلـــمـــا وَقّع لحـــنـــاً مـــثّـــلـــتْه الـــبـــشـــريّه
فـــإذا المـــأســـاةُ والمـــهـــزلـــة اسمٌ لـــقـــضـــيّه
هي أســـطـــورةُ حـــوّاءَ جـــرتْ في إثْـــر حَـــيّه
إنْ تُـــرجّـــعْـــهـــا طـــيـــورُ الخُـــلْـــدِ أنـــغـــامـــاً شـــجـــيّه
فـــهْيَ في كـــوكـــبـــنـــا الأرضـيِّ أوراقٌ نَـــديّه
طـــالمـــا خَـــضّـــلـــهـــا دمعُ ضـــحـــايـــا المـــدنـــيّه
غـــيـــرَ أن الـــدمعَ هـــذا قـــطـــراتٌ لـــؤلـــؤيّه
عـــطّـــرَ الـــفنَّ - بمـــا نَـــدّتْه من زهـــرٍ - نَـــديّه

١٩٣٧

من ديوان: «العرائس»

****

في الفردوس الأرضي

١ - نشيد آدم :

ورقة تين

أريني ناظريكِ... فما
صحا قلبي بإدمانِهْ
لأسبرَ فيهما عمقَ الْ
مُحيطِ وراءَ شطآنه
وخَلّي خدَّكِ الورديَّ
يَفتنني بألوانه
لأنثرَ فوقه قُبَلي
وأُطفِئَ بعضَ نيرانه
وضُمّي ثغرَكِ المحشوَّ
بالدُّرّ ومَرجانه
لأختمَ في ثناياهُ
رحيقاً راق من حانه
ودَنّي صدرُكِ المصقولُ
مَزهوّاً برُمّانه
أُجِلْ شفتيَّ بينهما
وأنسُ رَوْحَ ريحانه
ولُفّي شَعْركِ الضافي
على ما ماس من بانه
أمَرُّ أناملي فيهِ
فيُعديني بطغيانه

فلا يــــبــــقى لــــقـــلــــبي مـــا

يمـجّ دمـــــاً بــــشـــــريــــانه

عـــــــلى إحــــــســــــاسه إلاّ

وقــــــد بـــــالــــــغتُ في شـــــانه

جريدة «البحرين» - ١٩٣٩

من ديوان : «العرائس»

****

في الفردوس الأرضي :

٢ - نشيد حوّاء :

تفاحة

غـادرَ كـالـشـمـعـة جـسـمي لـظـاهْ
فـــكُنْ عـــلـــيه لا لـه .. فـي هـــواهْ
كـــأنّـــمـــا يـــصـــرعـــني مـــاردٌ
جُنّ فـــمـــا تـــســـكن عـــنّي يـــداه
يـــصـــرخ لـــلـــشـــهـــوة ألاّ تَـــني
وفي قـــرار الـــنـــفسِ يـــدوي صـــداه
إنّـيَ من جَـــرّاه مـــحـــمـــومـــةٌ
فـــاجـــعلْ مـــداواتَكَ لي بـــالـــشـــفـــاه
ثـــغـــراً عـــلى ثـــغـــرٍ.. ولا أتّـــقي
من مُـــطْـــرَفٍ يـــخـــزّني أو ســـواه
أنْـــعِمْ بـــحُـــســـني لا بـــأكـــفـــانهِ
فـــالحبُّ قـــد جـــرّدني لـــلـــحـــيـــاه
واخـــتـــرْ لـــدنـــيـــاكَ ســـبـــيلَ الـــغِـــنى
في شَـــعـــريَ المـــرسلِ حـــتى قَـــفـــاه
فـــإنْ تـــراختْ مـــثـــلَه رعـــشـــةً
أعـــضـــاءُ جـــســـمي وتلاشت قُـــواه
وغـــمّـــتـــا عـــيـــنـــايَ من حُـــمـــرةٍ
تـــلـــظى عـــلى وجـــهي بـــهـــا وجـــنـــتـــاه
ضُـمَّ إلـى وجـــــــهكَ صـــــــدري ولا
تـــرفقْ بـــنـــهـــديَّ إذا لامـــســـاه

وارْشِـفْـهـمـا بـالـفمِ رَشْـفـاً فـكم
ضَـــيّقَ أنـــفـــاسيَ مـــا زرّراه
جـــسـمـيَ روضٌ حـــافلٌ بـــالـــذي
تـــراه عـــيـــنُكَ ومـــا لا تـــراه
كـــان ليَ الـــلـهُ ... لـــقـــد همّ أنْ
يـــعـــبقَ «نَـــوّاري» بـــأحـــلى شَـذاه
وبـــعـــضُه الـــتفَّ عـــلى بـــعـــضهِ
فـكـاد أن يـطـوي عـلى مـا طـواه
فـانـشـرْ جـنـاحَـيْكَ عـلى حـسـنهِ
وبُلَّ - في ظلّ جـــنـــاحـــيكَ - فـــاه
نُـــجـــدِّدُ الـــعـــهـــدَ الـــذي بـــاركتْ
ملائكُ الخُـــلْـــدِ لـــنـــا في سَـمـاه

فَـــاعْـــجَبْ لِـــطـــاوُوسٍ جَلا ذَيـــلُهُ
لِـــنـــاظـــرَيْ أُنْـــثـــاهُ زَهْـــوَ الحَـــيـــاهْ
فـــانـــتـــشـــرتْ بـــين يـــدي حُـــســـنهِ
حَـــتى إذا افـــتَـــرَّا سَـــواءً ...طَـــوَاه

من ديوان : «العرائس»

✱✱✱✱

أسطورة الخيام

(١)

في أرض إيرانَ حيث الهَضْبُ لابسةٌ
زنّـــارَهـــا
من الـثـلـوجْ
كـــالحُـــورْ
تستقبل الشمسَ .. والأنهارُ هامسةٌ
أســـرارَهـــا
بـــين المـــروجْ
لـــلـــنُّـــورْ
جلا الـربـيـعُ بـنـيـسـابـورَ مـوكـبَهُ
فـزاد عِـيـداً إلى أعـيـادهـا الأُخَـرِ
يـا نـاعـمـاً في ربـوع الخـلـدِ لـيـلـتَهُ
مـسّتْ خـطـاكَ ثـرى الـوادي مع الـسَّـحَـر
فـلم تـزل خُـفَـراءُ الـطـيـرِ تـهـتف في
أفـنـانـهـا لـنـجـومِ الأرضِ بـالخـبـر
حـتى تلألأنَ في ضـوء الـنـهـارِ ثُـنًى
وفـزنَ مـنك فُـرادى بـالـشـذى الـعَـطِـر
فـالـزهـرُ في قـاعـهـا يـفـتـرّ مَـبـسـمُهُ
يـا لـيلُ هل صـبـغتْ فـاهُ يـدُ الـقـمـر؟

والـعـشبُ من حـولـهـا يـزهـو بـخـضـرتـهِ
يــا أفقُ! هل هــو مــيـدانٌ إلـى الـنـظـر؟
والــطــيــرُ من فــوقــهــا في ظلّ وارفـةٍ
يــا غُــصْنُ! هل أخــذتْه رَشّــةُ المــطــر؟
والــنــهـرُ من تحـتــهــا في مــوجه أَلَقٌ
يــا شـمسُ هل هــو مـرآةٌ إلـى الـشـجـر؟
إنـي لأســمعُ في أرجــائــهــا ضَـحِـكـاً
كـنـغـمـةٍ بـعـثـتْـهـا هـزّةُ الــوتــر
يــا من يُــؤمّل في الــفـردوس بُـغْـيـتَهُ
قَـررتَ عـيـنـاً بـهـا في هـذه الـصـور
لَبِّ الحـيـاةَ فقد عمّتْ بدعـوتـهـا
وما الـربـيـعُ سوى تجـديـدِ ذكراها

✡✡✡✡

(٢)

أتى الـربـيـعُ إلى الـدنـيـا كعـادتهِ
بمـا اجـتـنـاهْ
من الجِـنــانْ
ملءَ الــيــدِ
فـكـاد يـشـغل عنـهـا في عـبـادتهِ
بمـــــا راَهْ
من الحــسـانْ
في المــعــبـدِ
وأقــبــلـتْ تــتــهــادى في غلائــلـــهـــا
بـنتُ الجِـنـان تُـحـيّـيـهـا كـحـوّاءِ
لـو حـاول الـلـيلُ أن يـغـزو غـدائـرَهـا
لمــاج يــســأل: أين الــكـوكبُ الــنــائي

تَضاحكَ الوردُ لما قيل «وجنتُها»
أكنتَ، يا وردُ، مَشغوفاً بإطراء؟
فأسفرتْ عن مُحيّا في بشاشتهِ
يكاد يقطر منه الحسنُ كالماء
شفَّ الحريرُ الذي وارى ترائبَها
عن فاتنَيْنِ.. فهل هَمّا بأشياء
لم تسحبِ الذيلَ فوق الزهرِ سائرةً
إلا ومال يُزكّيها بإيماء
حتى أتتْ مَحْفلاً في الروض منزوياً
قد لاذ في السُّكْر أهلوه بأفياء
هذا أخو شيبةٍ ألقى اليراعَ على
ما خطّه وانثنى في شبه إغفاء
فهيّأتْ كأسَه... حتى إذا نظرتْ
ما في الصحيفة .... غَنّتْ للأحبّاء
- والشوقُ في دمها والعُودُ في يدها
يُعيد نغمتَها الأولى بأصداء -
«يا نائماً في ظلال الكرمِ وابنتُهُ
في الحُلْم تُؤنسه.. قُمْ وارتشفْ فاها»

(٣)

هذا الجمالُ الذي كم وَدَّ ناظرُهُ
في ميعةٍ
من صباهْ
لو نالهُ

يـا وردُ! مـثـلكَ إنْ حـيّـاه شـاعـرُهُ

بـــنـــغـــمـــةٍ

مِـن هـــــــواهْ

أصــــــغـى لـهُ

«شـيـرينُ! غـنّـيتِ صـوتـاً كـان يـطـربـني

لـــيت الأحـــبّـــاءَ عـــادوا لـي مع الـــنـــغمِ

نــامــوا.. وهــدهــدتِ الأزهـــارَ بـــعـــدَهُمُ

يــدُ الــربــيـعِ عــلـى عــيــني.. فـلم تـــنم

ذكّـــرتِــني بـــشـــبـــابي إذ تـــطــوف بهِ

في بـــاحـــة الـخُـــلْـــدِ آمــالٌ مَـدى الحُــلُم

إذ كـنتُ أُطـلـق نـفـسي في سـجـيّـتـهـا

فلا تَـــني الـــســبقَ من جَــرْيٍ عـــلى قــدم

أشـــكـــو مـــواقعَ عـــيـــنَـيْ كلِّ فـــاتـــنـــةٍ

مـفـتـونـةٍ بـالـذي أجـلـو من الـشَّـمَم

بـــاحت بـــســـرٍّ شَـكـــاةِ الـقـلـبِ رائـــعـــةٌ

تـــلـــوح كـــالـــبـــرق في داجٍ من الـــظَّـــلُم

مـــا لـــلـــبــيـــاض - أحـــال الـلـهُ جِـدَّتَهُ -

يُفضي إلى الـهمِّ ... لا يُـفـضي إلى الـهِمَم

نُــعـدّ لـــلــصـبــر أنـــفــاســاً مُـحــرِّقــةً

حـــتى تَـــحـــولَ رمـــاداً فـــحـــمـــةُ الـــلِّـمَم

لأقـــطـــعنَّ نـــيـــاطَ الـــقـــلـبِ إنْ وجـــدتْ

نـــفـسي سـبـيلاً إلى غـرس المـنى بـدمي

فـــلـــو ســـفـــرتِ عن الآمـــال كـــان بـــهـــا

مـــا بي من الـزمن المـوفي عـلى الـهَـرَم

فجَدّدي ليَ باللحن الجميلِ رؤىً
لا زلتُ تحت ظلال الكرمِ أرعاها

☆☆☆☆☆

(٤)

يا طَرْفَها! إنه قَضّى الحياةَ إلى
مشيبه
في اكتناه
الشُّهْبِ
وظلّ مَجمرُه في الأرض مشتعلا
بطيبه
لإله
الحُبِّ

«شيرينُ! حسنُكِ أعطى الأرضَ زينتَها
حتى ولو لم يزنْها كفُّ نَيْسانِهْ
فكيف والطيرُ قد بلَّ الندى فمَهُ
فطار يملأ مَغناها بألحانه
هذا الربيعُ قد استلقى بحاشيةٍ
من الزهور على الوادي وشُطآنه
يُصيخ للبلبل العربيد.. وَهْو على
أرجوحةٍ من نسيم الروضِ أو بانه
يهزّ أرجاءَها هزّاً بنغمته
ولا يفيق - كأن السكرَ من شانه
فلقِّنيه من الألحان أطربَها
إلى النفوس... وجازيه بإحسانه
وبادلي الروضَ أنفاساً مُعطَّرةً
فما أرقّ الصَّبا في ظلّ أفنانه
وضاحكي الوردَ في إبّان حُمرته
فربّما عاد مطويّاً لأشجانه

ودونكِ النهرُ.. فانْسِي في تَدفّقهِ
هذا القميصَ الذي يُزري بإنسانه
أما كفى الحسنَ أنّ الموتَ يرصدُهُ
فما له في الصِّبا يسعى بأكفانه
وقبّلي الكأسَ ما دامت مُشعشعةً
ولا تشحّي على ثغري بُبقياها»

(٥)
يا ربّةَ الحُسْنِ! إن السُّكْرَ مبعثُهُ
عينـاكِ
وحدَهما
لا الكاسْ
وأين من شفتيكِ السِّحرُ ينفثهُ
صرعاكِ
باسمهما
في النـاسْ
طافت عليهم بها كالشمس ساطعةً
يرى على الخَدّ من لألائها شَفَقُ
فعبَّ فيها ثلاثاً وَهْي تسندُهُ
حتى تَماسكَ في أحشائه الرَّمَق
وعاودَ العُودَ شيءٌ من تملمُلهِ
لما غدا العُودُ بين الجمر يحترق
فظلّ يبعث في الأسماع أنّتَهُ
موصولةً دون أن ينتابَها قلق
ثم استمرّتْ تُغنّيهم - بما حملتْ
يدُ الربيعِ لهم - والعودُ يصطفق
«يا عاشقَ الوردِ! ما جاء الربيعُ لكي
يحيا حبيبُكَ محفوفاً به الورق»

وصـوتُـهـا مـاج بـحـراً لا هـدوءَ لهُ
من كلّ نجمٍ عـلـى أمـواجـه أَلَق
يـعـلـو.. فـتـحـسـبه شَقَّ الـقـلـوبَ إلى
حَـبّـاتـهـا.. وطـوى آلامَـهـا الـغـرق
حـتى إذا خفَّ - مـغـمـوراً بمـوجـتهِ -
شـيـئـاً فشـيـئـاً ... تـراءى حـولـهـا الأُفُق
فـمـال كلُّ نـديمٍ في تَـرنُّـحهِ
عـلى سـواه من الـصـوت الـذي عـشـقـوا
«فاقطفْه في زهوه.. وانظرْ إلى دمهِ
هل مازجَ الكاسَ إذ تسقي وتُسقاها»

(٦)

بـات الـهـزارُ بـقـرب الـوردِ يـعـبـدُهُ
يـا طـلُّ
كنْ كـالخـمـرِ
رقـراقـا
وقُلْ إلى الـنـجـم إنّ الـفـجـرَ مـوعـدُهُ
يـظـلُّ
حـتى الـفـجـرِ
بَـرّاقـا
وتَمّ لـلـشـمس في الأفلاك جـولـتُـهـا
فـجـاوزت بـخُـطـاهـا الـغـربَ في خَـفَـرِ
وظلّ من بـعـدهـا مـا احـمـرَّ من شـفقٍ
يـسـائل الأرضَ هل غـابت عَنِ الـنـظـر
فـانـفضّ في الـروض حـفلٌ كـان مُـنـشـدُهُ
من الـطـيـور وسـاقـيه من الـزَّهَـر
وأقـبلَ الـلـيلُ يـحـدوه تَـطـلُّـعُهُ
إلى الـذي خـلّف الـنـدمـانُ من أثـر

يـا لـيلُ! اِنـفـرطَ الـعِـقْـدُ الـذي امـتلأتْ
بـه يـداكَ فـفـاض الـكـونُ بـالـدُّرَر؟
لـولا سـنـاهـا لمـا عـايـنتَ شـاعـرَهُمْ
وقـد تَـوسّـدَ كـفَّـيْه عـلى الـنَّـهَـر
بـجـنب شـيـرينَ.. مـأخـوذاً بـروعـة مـا
تُـدلـيه في مـائه الجـاري من الـشَّـعَـر
ووجـهُـهـا بـاسمٌ يُـغـني بـطـلـعـتهِ
عن الشـمـوعِ - ويُـمـنـاهـا على الـوتـر
قـال: انـظـري كـيف يـبـدو في الـظلام لـنـا
سِـرُّ الجـمـالِ الـذي يَـخـفى مع الـسَّـحَـر
شـيـرينُ! لـو كـان لي بـعـد الـبِـلى أملٌ
لمـا تـمـنّـيتُ إلا ثـانـيـاً عُـمُـري
فعشتُ في هـذه الدنيا كعهدكِ بي
للحسن.. يُشعل لي ناراً فأغشاها»

(٧)

للحسن فينا - كما فيه لنا - وَطَرُ
من لم يَـحُمْ
بـين يَـدَيْ
نُـوْرِهْ
عاش الندامى وحَلّى كأسَهم قَمَرُ
عـلى الـنـغمْ
من عرش دَيْـ..
ـجُـوْرِهْ
عـاد الـربـيـعُ لـنـيـسـابـورَ ثـانـيـةً
وقـد تـبـدّلَ زاهي أمـسِـهـا بـغـدِ

فـكـان في المـوكب الـتـالي كـسـابـقهِ
يمشي مع الحُسنِ مـخـتـالاً.. يـداً بـيـد
كم ذاب قـلـبُ هَـزارٍ في تَـرنُّـمهِ
حـتى تَـضـوَّعَ هـذا الـزهـرُ وَهْـو نـدي
عـاد الـربـيـعُ.. وقـد حفَّ الحِـسـانُ بهِ
إلا الـذي كـان يـهـوى الحُـسْنَ لم يَـعُـد
سَلِ الـورودَ وقـد وارت بـكِـلَّـتِـهـا
ضـريـحَه لِمَ لمْ تُـكْـثِـر من الـعـدد
هـنـاك حـيث قـديماً طـاب مـحـفـلُـهُمْ
حلّ الـنـدامى عـلى أنمـاطـهـا الجُـدُد
عـاد الـربـيـعُ.. فلا ردّوا تحـيّـتَهُ
إلا بـأحـسنَ مـنـهـا - دائمَ الأبـد
بـشـعـلـةٍ في يـديـهـا.. روحُ شـاعـرهمْ
مـثلَ الـفَـراشِ حـوالـيْـهـا مع الحَـشَـد
حـتى إذا تَمَّ دَوْرُ الـكـأسِ بـيـنـهُمُ
تـهـتـزّ أوتـارُه من صـوتـهـا الـغَـرِد:
«واضيعةَ الكأسِ يوماً إن عثرتُ بها
عـلى رفـاتي.. فـلم أنـعمْ بـرؤيـاهـا»

مجلة الرسالة - القاهرة - ١٩٤٠

من ديوان: «العرائس» .

****

الخياميــات

أفِقْ يـا نـديمُ اسـتـهلَّ الـصـّبـاحْ
وبـــاكِـرْ صَـبــوحَكَ نَــخْبَ المِلاحْ
فـمُـكْـثُك بــينَ الــنَـدامَى قــلــيلٌ
ولا رَجــعـــةٌ لكَ بَـــعـــدَ الــرواحْ

لـقد صـاحَ بي هـاتفٌ في السُـبـاتْ:
أفـيـقـوا لـرشفِ الـطّلا يـا غُـفـاةْ!
فـمـا حـقَّقَ الحُـلْمَ مـثلُ الحَـبـابِ
ولا جَـدَّدَ الـعُـمْـرَ غـيـرُ الـسُّـقـاةْ

ألا أتــرِعِ الــكــأسَ نَــخبَ الــعَـدَمْ
فـــمَنْ نـــامَ مــنّـــا كـــمَنْ لم يـــنَمْ
ولا أمْسِ ظَلَّ ولا الــــــغَـــــدُ حَلَّ
فـمـا يَـمـنعُ الـيَـومَ أن يُـغـتـنَمْ؟

فـهـاتِ حـبـيـبي لـي الـكـأسَ هـاتِ
سَــأنــسَى لـــهـــا كلَّ مـــاضٍ وآتِ
غَـداً؟ ويـحَ نـفـسي غـداً قـد أعـودُ
وأعْـرِقُـهم في الـبِـلـى مِن لِـداتي

إلــهيَ! رُحــمــاكَ أينَ الــصَـبــاحْ؟
فـقـلـبي يَـكـاد أسًى يُـسـتـبـاحْ
وغُـفْـراً.. لـسـاقٍ سَـعتْ بي إلـيـهـا
جُـنـونـاً، وراحٍ تَـمـادتْ بِـراحْ

وكم لِيَ من تـوبـةٍ عن جَـنـاهـا
فـهل كنتُ أصْـحـو وقد عِفتُ فاهـا؟
ويَـنـفـحُـنِي الـوردُ وَرْدُ الـربـيـعِ
فلا أمـلـكُ الـنـفسَ حـتّى تَـراهـا

لَـئِنْ قُمتُ في البَعثِ صُفْرَ اليَدينِ
وعُـطّلَ سِـفْـرِيَ من كُلِّ زَيْن
فـيَـشْـفعُ لي أنَّـنِي لم أكُنْ
لأُشـركَ بـالـلّهِ طَـرْفَـةَ عَـيْنِ

أَ آلـهـةَ الخَـمْـرِ! بـئسَ الـتَـجـنّي
قَـلَـبْـتُنَّ لـلـصَبِّ ظَـهْـرَ المِـجَنّ
طـرَحْـتُنَّ في الـكـأس بُـرْدَ وقـاري
عـرَضْـتُنَّ جِـدّي لِـلَـهـوِ المُـغـنِّي

نَـذرتُ لحُـسـنِكِ نَـجْـوى صَلاتي
وفي غَـمْـرَةِ الـعِشقِ ضَـيَّـعتُ ذاتي
فـلـوْ خَـيَّـرونـيَ.. لَمْ أرضَ إلاّ
بـتِـلكَ حَـيـاتي - فـأنتِ حـيـاتي

سيَحيَا لحبّك قَلبي المُعنّى
لِجَوْرِك، ما دام وعدُك مَنّا
لطَرْفِك، يَسقي مع الخمرِ خَمراً
فيُبدعُ - فَنّاً - وأُبدعُ فنّا

ويا لَيتَ شعري أتلكَ الزُهورُ
عرائسُ نُعمَى جَلتْها السُّتورُ؟
فمِنْ قُبلة الشَمسِ هذا الحياءُ
ومن لُؤلُؤِ الطَلِّ ذاك السُرورُ

فَجَدِّدْ معَ الكأسِ عَهدَ غَرامِكْ
وحَلِّ مَرارتَها بابْتسامِكْ
وعَجِّلْ فَجَوقَةُ هذِي الطُيورِ
قد لا تُطيلُ الطَوافَ بجامِكْ

ويا وهَجَ القلبِ كُنْ مُحرِقا
صَبوتَ فزادَ الصِّبا رَونَقا
وما أضيَعَ العُمْرَ لو أنَّني
حَملتُكَ من غَيرِ أن تَخفِقا

لئن عادَ عندَك مَدعاةَ نُكْرِ
بُكوري لِشُربٍ ونَومي بسُكر
فما أسفي غَيْرَ أنّيَ ضَيّعتُ
في الصّحْوِ أجْملَ أيامِ عُمري

من كتاب «الخياميات» - ١٩٩٧
رباعيات عمر الخيام - ترجمة ونظم: إبراهيم العريض

✱✱✱✱

برقيّــة

«إلى رفيق العمر حبيبي نزار»

نَعِي.. فإذا الرَمزُ عَينُ الظُهورِ
وما «الحَيُّ» إلا بمعنى الحُضورِ
ومَوكُبنا بَين نارٍ ونورِ
نُلمُّ بأحداثهِ في ثوانٍ ونُلغِي القُرونَ لبُطء المسيرِ

فيا راصداً كَونَنا في كيانهْ
وكانَ له أثرٌ في زمانَهْ
يَزيدُ وينقصُ حسبَ أوانهْ
ولم نَعْدُ عن كوننا في مَداهُ على زبَدِ المَوجِ حَبَّ جُمانهْ

أفي عُنفُوانكَ؟.. ها أنتَ حَقّا؟
على الجَنْبِ في بَعضِ مَثواكَ مُلْقى!
سلامةَ عُمرِكَ! عِشتَ لتَبقَى!
لكم قَبلَها فوق تلك الحُشودِ جَلجَلَ صوتُكَ رعداً وبَرْقا!!

هُواةٌ؟ بغُربتهم في الوطَنْ
بلا سِحرِهِ بَينَ فنٍّ وفَنْ
إزاءَ تَحرُّكهم في الزمنْ
فقاقيعُ تُشبِهُ أمثالَها تَنوءُ بدَورٍ.. كأنْ لم يَكُنْ!

١٩٩٧/٩/٢٩

من ديوان: « يا أنت»، ١٩٩٨

✱✱✱✱

أتبقى كذا

أتَبقى كذا؟
في زمانِكَ
ظلّا
تَعيشُ
بتقليدِ ما جاءَ نقلا
تُكفّرُ
مَن يُنكر النقلَ أصلا
ومَنْ
فوقَ دُنياكَ
شاهدتَ جاهَهْ
بنَى هو أقمارَهُ
واستنارْ .

وها أنتَ! – لاهٍ كما كنتَ قبلا
وإني لأعلمُ
منذُ متى كانَ ذاكْ
أحقّاً – أمامَ خُطانا؟
أمامَ خطاكَ وجدتَ الصراطَ
طريقَ هُدانا، طريقَ هُداكْ
جدارا؟ .

أكان مصيرُ البشرْ..
بأن يتطوَّرَ للأحسنِ؟
فطالت خُطاه، وأمَّ القمرْ
ليبحثَ في الكَونِ عن مأمنِ
فأرسَى حيالهْ؟ .

من ديوان : «يا أنت»، ١٩٩٨

✷✷✷✷

لا كان أمس

وما خَطبُنا اليومَ؟
ماذا يُقالُ؟
ونحنُ الذين سدَدْنا المَسالكْ!
طريقَ الهُدى لم يَعُدْ مُستقيماً
ولا هو سالِكْ
لكَثرةِ ما طُلَّ فيهِ
دمُ الأبرياءِ
اغتيالاً .. وصَبرا .

صراطٌ أمامَ خُطانا
نراه على ضوء ما كانَ أمسِ
(لا كانَ أمسِ)
جَوازاً لمستنقعٍ في الدماءِ
كما لو بَنَينا هُناكَ
جِداراً
فيا شرَّ حالَهْ!

من ديوان: «يا أنت»، ١٩٩٨ .

في الشتات

وما من مُفارقةٍ بينَ أمَّتنا وَبقايا الأُمَمْ
سوى أنَّنا في الأساس نَدينُ بأعلى القيمْ
ولكنْ هنا عَبثُ العابِثينْ:
رَأَوْا هُمْ...
مُصلّينَ قد وحَّدُوا صفَّهم في الصَلاةْ
عَلى كل أرضٍ
جُموعاً غفيرهْ
فهالهمو ما رَأَوْا..
فاستباحُوا طريقَ القناةْ
وَبثّوا الوُلاةْ
بدفعٍ وقَبضِ
لأقبحِ سيرهْ.

☆☆☆☆☆

ولا عند أنفسنا
نحن كنا سوى «فِرَقٍ» في الشتاتْ
تُسَرُّ بإرهابها
بلْ بحربِ الإبادهْ
بَعضُها ضدَّ بعضِ
ولا منْ جريرهْ.

☆☆☆☆☆

أليس بفألكَ..
ما زال ماضيكَ مرآةَ حالكْ؟

ترى الغيبَ فيها بعين خيالكْ؟
ولا غَدَ....
تنأى به عن ضلالكْ؟

وكانت كبيره
بلا شكٍّ واعٍ، ولا من يقينِ
سوى أنِّ «حرزَ» الشهادةِ
«بالمعنَيَيْنِ»
وقفٌ على الفرقةِ الناجيهْ
فرضَ عَيْنْ
فعنهُمْ..
وعَنها «الحديثُ» يُثيرُ شُجوني!

فكيف الإقاله؟
ومنذ أوائلِ من حَدَّثوا..
لم نزل نحن - عبرَ القرونِ -
كما لو رضينا بأن نلعقَ السمَّ
حتى الثُّماله!

من ديوان: «يا أنت»، ١٩٩٨ .

✱✱✱✱

قصب السبق

إلى اليأس أقربُ ، ما ارتجيهِ
فتلكَ قَضايا لنا - مُستَحيلَهْ
وإنْ هي تَمَّتْ ، وإنْ لَم تَتِمَّ
فليستْ سوى غايةٍ ... لا وَسيلَهْ

فسَوفَ يظلُّ التسامُحُ مفتاحَ كُلِّ الحلُولِ
فَنَحفَلُ بالغدِ - لا بنُجومٍ وسَاسَهْ
وعَهدِ الخلافَهْ
فلا أحسَبُ الدينَ مَسرَحَ «قالٍ وقيلِ»
وثَلَّةَ أسماءِ مَنْ مَثَّلوا باسمِهِ
لِنقرِنَ أدوارَهُم بالقداسَهْ
ونَنسَى الرِيادهْ!

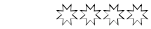

فقَد رَضِيَ اللهُ عن خلقهِ أجمعينَ
جَلالاً - وقدَّرَ مَجلى رضاهُ اكتمالا
فسبُحانَه إذ قَضى بينهُم «كُلِّ تلكَ الخلائقْ»
قَضى لابن آدمَ وَحْدَهْ
«لإحرازهِ» قَصَبَ السبقِ دوماً
بأن يستعينَ
وأن يتعالى
وكالنيِّرات يَشعُّ جَمالا
فيَحيَا احتفالاً - إلى أبد الآبدينَ

ويبقى سُؤالا
ولا كالحقيقة نعجَزُ عنها خَيالا!

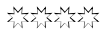

فيا أنتَ!
ما أنتَ في كُلِّ هذا...
حِمىً ومَلاذا؟
وفي عَالمِ الغَدِ
لو كنتَ تَعلمْ....
بِحُرِّية الرَأيِ نفيٌ لوضْعٍ مُشرذَمْ
«معاصيه أكثرُ فيما يُحَلَّلُ...
لا ما يُحَرَّمْ»
فما بالُنا لا نُحقّقُ للغَدِ فالَهْ.

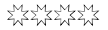

صُروفُ الزمانِ رَأتْ دَورَنا
في السِّياسَهْ
(وقد طالَ)
لا يَتَعَدّى الرِئاسَهْ !
ونَفرُضُه في العبادَهْ
قِبالَ «عَدُوٍّ» حَرِيٌّ بِنا أن نخافَهْ
فَنلقَى مَآلَهْ!

من ديوان: «يا أنت»، ١٩٩٨ .

غرة الشهر

أنصدقُ أنفسَنا بالحقائقْ
ونقتلعُ الشرَّ من جَذْرِهِ
ولو قد فعلْنا بدون عوائقْ
وأسعفَنا النُورُ في نَشرِهِ:

☆☆☆☆☆

إذَنْ لسَألنا..
ولَم نَخشَ ردَّ السؤَالِ
ففي حكمة الردِّ (لا الردِّ) عينُ الأصالهْ
يُعقِّبُ خَصمٌ عليه بما قد بَدا لَهْ
وما ليسَ يَخطُرُ في الشَرقِ يوماً ببالِ

إذنْ لَتَحسَّنَ نوعُ العلاقاتِ فينا
وعاملُنا آمنٌ رِزقَهُ في القِطافِ
يُجيزُ له في التَباحُثِ حَسْمَ الخلافِ
ويضمنُ إنْ سارَ ، في غُربة الدارِ، زَادَهْ

إذَنْ لقَضَينا عَلى كُلِّ ما يَصْطلينا
يُثيرُ العِداءَ ، ويُورِي زنادَهْ .

☆☆☆☆☆

وَفي غُرَّةِ الشهرِ من كُلِّ عَهدٍ
يَلينا
كما وَحّدَ الناسَ قِبلَتُهُم
في العَدالهْ
نُناجِي - بحقٍّ - هِلالَهْ
ونَحيا مِثالَهْ!

من ديوان : «يا أنت»، ١٩٩٨ .

✷✷✷✷

من بين الأشواك(*)

أين لـــلـــبـــلـــبل أن يُـــلـــقي بـــيـــانَهْ
وهـــو لا يـــعـــرف في الـــظلّ مـــكـــانَهْ
فَـــتْـــرةٌ مَـــرّتْ عـــلـــيه في الـــربى
كـــان كـــالمـــشـــدوه في حـــمل الأمـــانه
فـــإذا أرســـلـــهـــا ضـــاحـــكـــةً
هـــزّتِ الأصـــداءَ بـــالـــوجـــد كـــيـــانه
وســـرتْ في الـــروض مـــنـــهـــا نـــفـــحـــةٌ
طـفق الـفـجـرُ بـهـا يُـغـري حِـسـانه
صَـــوّحتْ تـــلك الـــربى من زهـــرهـــا
آفـــةٌ لم تـــتـــركِ الـــطـــيـــرَ وشـــانه
فـــإذا لاذ بـــصـــمتٍ بـــعـــدهـــا
فـــلـــكي يـــطـــوي عن الإفك لـــســـانه
مـــا الـــذي قَـــرّتْ به عـــيـــنـــاه مِنْ
مـشـهـدِ الحُـسْنِ فـيُـولـيه حـنـانه
لا يـــرى الـــروضَ عـــلـــى حـــالـــتهِ
ضـــاحكَ الـــوردِ، ولا يُـــبـــصـــر بـــانه
لـــو تَـــبـــدّى «الـــيـــأسُ» في وحـــشـــتهِ
شـبـحـاً يمـشي عـلى الأرض.. لـكـانه
يـــا ابنَ ودّي غـــاب عـــنه أمـــسُهُ
لا تُـــذكِّـــرْه - وقـــد فـــات - زمـــانه

****

(*) مرفوعة لفضيلة الشيخ عبدالحسين الحلّي.

إلى الأستاذ أحمد صبري

يـا عـبـقـريَّ الـعـصـر غـيـرَ مُـدافَعٍ
والـكـوكبُ الـوقّـادُ في ظـلـمـائهِ
مـضتِ الـقـوافلُ وَهْي تـخـبط في الـدجى
حـتى اسـتـضـاء فـكـبّـرتْ لـضـيـائه
مـا سَـرّني مـدحـيه إلا بـعـد أنْ
ألـفـيـتُه لـلـشـرق بـابُ رجـائه
تـلك الـقـرونُ .. كـأنّـمـا هي لـيـلـةٌ
لـيلاءُ، أسـفـرَ صـبـحُـهـا بـذُكـائه
إن الـذي بـرأَ الـعـقـولَ سـمـا بـهـا
صُـعُـداً وخـصّكَ دونـهـا بـسَـمـائه
فـاسـلمْ! فـمـا هـذا الـزمـانُ سـوى فمٍ
يـشـكـو ، وتـعـلم أنتَ مـوضعَ دائه
مـا كـان لـلـصـحـراءِ أن تـظـمـا وفي
أعـمـاقـهـا هـذا الـغـديـرُ بمـائه

١٩٤٥/١/١٨

****

نشيد أطفال الحضانة

أُعــزُّكُــمــا مــعــاً يــا والــديّــا
فَــنْــيلُ رضــاكــمــا فــرضٌ عــلــيّــا
حــنــانُــكــمــا نــشــأتُ به مُــفَــدّىً
وظــلُّــكــمــا رفــلــتُ به هــنــيّــا
ويــا وطــنــاً رعى مَــهــدي صــغــيــراً
لــيــعــهــدَ لي رعــايــتَه فــتــيّــا
لأَغــنــى من وجــودي وَهْــو فــانٍ
حِــمــاكَ وقــد أتــاح ليَ الــرُّقِــيّــا
حــبــاكَ الــبــحــرُ أثــمنَ مــا لــديهِ
ورمــلُكَ مــنه أثــمنَ مــا لــديّــا
أبــا حَــمَــدٍ! لكَ الــقِــدْحُ المــعــلّى
ملأتَ رحــابَــنــا زاداً وريّــا
لــيُــعــلــنَــهــا الــخــلــيجُ بــكلّ فــخــرٍ
هي الــبــحَــرينُ بــاسِــمــةُ المحَــيّــا
لآلِئُ ضــمّــهــا عِــقْــدٌ نــضــيــدٌ
عــلــى صــدْر الــعــروبــةِ كــالــثــريّــا
فــيــا وطــني! تــعــيش لــنــا غــنــيّــا
ويــا وطــني! تــعــيش بــنــا قــويّــا

١٩٨٠/١٢/٩

****

يا خادمَ الحرمين

يــا خــادمَ الحــرمــينِ حــسـبُكَ سُـؤدداً
في الــعُــرْب أنكَ خــادمُ الحــرمــينِ
دأبُ المــلــوكِ صــغــارِهم لــكــبــارهم
وكــأنمــا هم يــزلــفــون بمَــيْن
حــتى كـشـفتَ إلى الحـقـيـقـة حـالَـهم
مــا أكــفــرَ الانــســانَ في الحــالَــيْن
آثــــرتَ لــــلّه «الجلالــــةَ» وحــــدهُ
وحــمــلتَ عــبــئَكَ حــافيَ الــقــدمــين
فَــهْــدٌ وخــالــدُ لــلــخــلــود وفــيــصلٌ
مــا عــطَّــر الــذكــرى كــعــقل الــزَيْن
ألــقــاكَ من ســبــقــوكَ أعــظمَ مــنــهُمُ
ويــراكَ من تــبــعــوكَ قُــرّةَ عَــيْن

****

شواظ جحيم

فـــداكِ ســـنـــاً كلُّ من لا يـــغـــارُ
تَـــشـــابَهَ لـــيـــلُـــهُمُ والـــنـــهـــارُ
ولـــو قـــلتُ يـــفـــديكِ ذو غَـــيْـــرةٍ
لـــعـــزَّ الـــفـــداءُ، وطـــال انـــتـــظـــار
أأرثـــيكِ؟ أنّكِ لم تـــبـــعـــدي بَلْ
ســـعـــدتِ بـــقـــاءً فـــأنتِ الـــديـــار
تحـــوّلتِ لـــلـــخُـــلْـــد في ومـــضـــتـــينِ
كـــأنّ حـــيـــاتَكِ لا يـــســـتـــعـــار
رآكِ الـــعـــدوُّ شـــواظَ جـــحـــيمٍ
غـــداةَ بـــدا لكِ مـــنـــهم قِـــطـــار
فـــهل عـــايـــنـــوا غـــيـــرَ إرهـــابَـــهم
يـــدور بمـــصـــرعـــهم حـــيث داروا
عـــجـــبتُ لأنـــثى أبتْ أنْ تُـــعـــا
نِقَ إلا الحِـــمـــامُ فـــطـــاب الخِـــيـــار
مـــضى الـــعـــهـــدُ قـــبـــلكِ لـــيلَ حِـــدادٍ
فلا حقٌّ، لا مـــلـــجـــأٌ، لا قـــرار
لـــقـــد جـــمـــدَ الحـــزنُ في الـــعـــين دمـــعـــاً
وعـــاد إلى الـــقـــلب وَهْـــو شَـــرار
بـــطـــول مـــآســـيه حـــتى انـــطـــلـــقتِ
شـــهـــابـــاً وإذ لـــلـــنـــضـــال انـــفـــجـــار

تَـبـاهي فـمـا في رُبى الخـلـدِ قَطُّ
زان بـجـلـوة عـرسٍ إطـار
كـجـلـوكِ.. إذ كـبّـر الخـالـدونَ
ومـا كـان أحلاكِ لـولا الـغـبـار
وأفـتـنُـهم بكِ كـان الـشُّـراةُ
وبـيـنـهُمُ طـاب مـنكِ الحـوار؟
فـهل بـعـد سـعـيكِ فـضلٌ لـسـاعٍ
وعـاش بمـثـل طِلابكِ ثـار؟
وهل مـثلُ حِـنّـاكِ شـاهـدُ عـرسٍ
وحـلّى كـمـثل «يـديكِ» سِـوار؟
وكـلّ حـين تـطـايـرَ شَـعـرُكِ
هـامـةَ مـثـلكِ في الحـرب غـار؟
وأنتِ كـفـاكِ من الخُـلْـدِ أنْـ
ـنَكِ جـاورتِ ربّكِ نِـعْمَ الجِـوار
عـلى الـريف بـعـدكِ أشـرقَ بـدرٌ
وصـفّقَ نـهـرٌ وغـنّى هَـزار
وفي الحـرب حـولكِ تـضـحك لـلـمَـوْ
تِ أعـينُ أحـرارهـا إذ تُـثـار
تَـبـاهي فـمـا لجلال الـشـهـادةِ
داعٍ وعى كـيف يُـحْـمَى الـذِّمـار
تَـجـمّعَ في حـشـدهم كلُّ لَـسْنٍ
وأمّـا تَـدافـعُـهم فـاضـطـرار
فـإنْ وحّـدَ الـعُـرْبُ يـومـاً خُـطـاهم
وشـايـعـهم مـجـدُهم حـيث ساروا

فــأنتِ سَــنــاً قــد أنــرتِ الــطــريقَ
ودون الــــردى لا يـــتمّ انـــتـــصــــار
لـــقـــد قـــصـــرتْ عن مـــداكِ المـــلـــوكُ
فـــحـــســــبُكِ أنّكِ أنتِ المـــنــــار
نـــفـــذتِ كـــســـهمٍ إلى مـــا أردتِ
وبـــين خُـــطــاهم يـــلجّ الـــعِـــثـــار
تَـــراوحَ حـــيث الـــتـــقى جـــمـــعُـــهم
كـــأمسٍ لـــيَـــصـــدرَ لـــيلاً قـــرار
فلا كــابــدَ الخــوفَ مــنــهم صــبــاحــاً
عـــــدوٌّ ولا آنسَ الأمــنَ جـــــــار
كـــأنّ الـــعـــروبـــةَ عـــنـــدكِ صَـــرْحٌ
ومــا بــاســمــهــا يُــعــلــنــون انــهــيار
إذا الأرضُ تحت احـــتلالِ الـــغـــزاةِ
فـــكلُّ سلامٍ مع الـــعـــجـــزِ عـــار

****

سعاد الصباح

طـــــاولـي كلَّ طَـــــوْدٍ أشمِّ
مـــا عـــهـــدنـــاكِ إلا كـــأمِّ
يـــا ابـــنـــةَ الخُـــلْـــدِ أيُّ علاءٍ
لُـــحْتِ مـــنه لـــصـــادق حُـــلْـــمي
حـــزتِ في الخَـــلْق وحـــدَكِ قـــلـــبـــاً
نَـــيّـــراً بـــيـــنـــمـــا الحبُّ يُـــعـــمي
تـــســـتـــظـــلّـــين رايـــةَ عِـــزٍّ
ولـــــنـــــجـــــواكِ لألاءُ نجمِ
كـــيف عـــايـــشتِ أهلَ جـــوارٍ
خـــــانقٍ بـــــين خـــــالٍ وعـمٍّ
كم تـــنـــادَوْا لـــبـــعض قـــضـــايـــا
وتـــمـــادَوْا بـــهـــا دون حَـــسْم
لـــقّـــنتْ ضـــربـــةُ الـــشـــمسِ درســـاً
كلَّ رامٍ فـــمـــا عـــاد يـــرمي

يـــا ابـــنـــةَ الخُـــلْـــدِ مـــحضُ دعـــاءٍ
قـــدرُ الـــلـــهِ... هـــمُّكِ هَـــمّـي
مع تـــلك الـــنـــوايـــا خُـــلـــوصـــاً
كـــالأعـــاصـــيـــر وَسْطَ الخِـــضمِّ
أن تَـــقَـــرّي بـــدنـــيـــاكِ عـــيـــنـــاً
فـي الـــــورى بـــــين مَـــــدْحٍ وذَمّ

لـــقَـــرارٍ كـــبَـــرقـــةِ مُـــزْنٍ
من تُـــسَـــمّـــين ، من لم تُـــســـمّي
في احـــتـــجـــاز الأخصِّ ، ســـلـــيـــهم:
كـــيف ضـــلّـــوا طـــريقَ الأعمِّ؟
حـــيث يـــزهـــو سِـــواهم بـــآتٍ
هـم بمـــــــاضٍ - لـــــــدورٍ أهـمّ
هـــو عَـــوْدٌ عـــلى الـــبـــدء ، حـــتى
عـــنـــد من عـــاش غـــيـــرَ مُـــلِمِّ
بـــعُـــرى أمّـــةٍ في انـــفـــصـــامٍ
أيُّ دَوْرٍ يُـــــــــــــــــراد لأُمّـــي!
لـــيس (مـــا قـــدّروه عـلاجـــاً
شـــافـــيـــاً) غـــيـــرَ جُـــرعـــةِ سمّ
إنـــهم أمّـــةٌ في انـــقـــســـامٍ
عَـــوْذُ قـــاضٍ وحـــيـــرةُ ذِمّي
لم يـــغب عـــنكِ مـــا غـــاب عـــنـــهم
بـــدّلَ الـــقـــرنُ كَـــيْـــفـــاً بـــكَمِّ
هم كـــحـــادينَ خـــارت قُـــواهم
فـــأنـــاخـــوا ورَكْبٍ أصمِّ
يـــا لـــذاكـــراكِ والـــلـــيلُ داجٍ
أين عن مـــثـــلـــهـــا بـــدرُ تِمِّ

****

مـرة $ الزمان

سَمّ مـا شـئتَ صُـنْـعَـنـا في الـربـاطِ
قِـمّـةٌ سـيـلُـهـا يـعمّ الـشـواطي
في المـسـيـرات مـا لـزخمٍ سُـمـوقٌ
فـالمـغـالـون ضِـدّ كلِّ انـضـبـاطِ
وحـدَهـا - لـقـطـةٌ حـيـاتُكَ لـولا
طـولُ عُـمْـرٍ مُـدَرَّجٍ في الـنـشـاط
لـقـطـةٌ لا تُـجـاوز الـصـفـرَ قَـدْراً
مع أخـرى في الـقَـدْر مِـلـيـونُ واط
مَـرّةً في الـزمـان عـشتُ مـثـالاً
لـو وعى الخَـلْقُ هَـدْيَـةً لـلـصـراط
لـيس خـيـراً مـا شـبّهَ الحقّ فـيهِ
لـيس شـرّاً مـا زانَ تـوبـةَ خـاطي
بَـشَـرٌ.. عـاجـزون في كلّ أرضٍ
سِـمـةُ الـقـابـعـين تحت الـسـيـاط
لا بمـعـنى عـجـزِ الـريـادةِ صِـرْفـاً
بل لـذاك الـشـعـورِ بـالإحـبـاط
سـوف تـرضى عـصـرَ الأنـابـيبِ أم
عـهـدُهـا بـالـرعـيل لفُّ الـقِـمـاط
لم يـعـطِّلْ شـمـولَـهـا في الـنـوايـا
كـبـقـاء الجـنـسـين دون اخـتـلاط
مـا أبـرَّ الـشـهـيـدَ - مـات لـيـحـيـا
نـقـطـةَ الـفـصلِ في اتّـسـاق الـنُّـقـاط

٢٠٠٠/٩/١٦

****

مرافعة بين العلم والدين

على لسان العلم :

صمدنا له.. ضائعاً في الزمانِ
تجاهل في الفنّ أطوارَهُ
تُباح الحقوقُ فيُدعى ضميرا
وكم حَوّلتُه السياسةُ نِيرا
فما سايرَ العصرَ حتى قضاءً
ولا ناجزَ الحكمَ حتى مُشيرا

قُداماهُ... هل توّجتْ قطُّ نصرا
بدون حشودٍ تظلّ كأَسْرى
لواقعهم في انتظار الخلاصِ
وبُشراهُمُ أنْ غدا الغيبُ بُشْرى

جهادٌ رَضُوه بمعنى القدرْ
تَعزّزَ من حُجّتَيْه السُّوَرْ
وكَلّوا... وما قطُّ كلَّ اللسانُ
فلا الخيرُ خيرٌ ولا الشرُّ شَرْ
سلي اليومَ: ما خطبُ أهلِ الجِنانِ
سلي القدسَ : هل آمنتْ جارَهُ

على لسان الدين :

كـفـرنـا به.. تـائـهـاً في الـفـضـاءِ
وقـــد حَـــمّلَ الخَـــلْقَ أوزارَهُ
نمـاهـا ديـونـاً فـألـغى المـعـاشـا
وتـــنـــمـــيهً بـــالـــرِّبـــا تـــتلاشى
مُـبـطَّـنـةً حـولـنـا لانـفـجـارٍ
وعـــدوى المجـــازرِ بـــين الـــعـــطـــاشى

كـــذلك في ســـعـــيه لـــلـــسلامِ
هلاكُ الألـــوفِ بـــرمـــيـــة رامِ
تلا آيـــةَ الـــنـــورِ لا لـــلـــتـــجـــلّي
ولـــكنْ لـــطـــمس الـــقُـــرى في الـــظلامِ

تـــمـــادى لـــعـــين الخـــفـــاءِ الأثـــرْ
بـفـضل الـتـنـافسِ في المخـتـبـرْ
لـعـرض مـحـاذيـرهم بـالـسـخـاءِ
أفي الـشـرِّ خـيـرٌ وفي الخـيـرِ شَـرْ؟
وتـلك مـحـطّـاتُـهم في الـسـمـاءِ
بـإرهـابـهـا هل مـحتْ ثـارَهُ

قرار المحكمة :

نُـقـررّ أنـا نـظـمـنـا الـصـفـوفَ
مـرافـعـةً دون أن نـلـتـزمْ
فـإنّ لـضِـدّيّـة الجـانـبـينِ
فـصـولاً تـطـولُ وقـد لاتـهمْ
مُـثـولُـكـمـا إذ يـصحّ مـثـالاً
لـعـمق المـعـانـاة بـين الأُممْ

تـــمـــوج نـــظـــائـــرُهـــا كـــالـــســـرابِ
لـــــعـــــين المحـــــقّقِ مـــــنـــــذ الـــــقِـــــدَمْ

بـــحَـــيْـــوانـــهـــا آمـــنـــاً في الـــكـــهـــوفِ
وإنـــســـانـــهـــا عـــاثـــراً بـــالـــقـــيمْ
وذاك يـــــزيـــــدٌ وهـــــذا حـــــســـــينٌ
كـــشـــأنِـــكـــمـــا بـــين مـــدحٍ وذمْ
فـــلـــيس لمحـــكـــمـــةٍ قـــد تَـــتـــالى
عـــلى الـــبتّ في حـــلـــبـــةٍ لن تـــتمْ
ســـوى أنْ نـــشـــيـــدَ بـــحُـــسْن المـــآبِ
ونـــــتـــــركَ ســـــائـــــرَه لـــــلـــــذمْ
ومـا عُـدتـمـا الـيـوم في المـزدحَمْ
لحـــسم الـــقـــرارِ بلا أو نـــعمْ
وجـودُكـمـا صـار لا بـدَّ مـنهُ
لإنـــقـــاذ عـــالمـــنـــا من عَـــدَمْ

٢٠٠٠/٨/٣

****

بين يدي الزمان(*)

جـار في حـكـمه الـزمـانُ وحـابى
عـالَـمـاً في غـبـائه فـتـغـابى
في اخـتلاف الـلـونـين بِـيـضـاً وسُـوداً
كـعُـداةٍ طـوراً وطـوراً صِـحـابـا
واعـتـنـاقِ الحـدودِ إنْ هي قَـرّتْ
في مَـراعٍ، أو هـاجـروا أسـرابـا
فـاخـتـراقٍ، مـا كـان في الأصل إلا
ثـغـراتٍ ، أو لـلـحـداثـة بـابـا
مَـعـرِضُ الحُـلْمِ كـالحـقـيـقـة ، لـولا
فـاصلُ الجـدِّ في الـتـمـثّلِ ذابـا
فـإذا الـفنُّ لـيس بـالـفنّ أصلاً
وإذا الـرشـدُ بـانَ لـلـرشـد عـابـا
لم يـعـد فـيه لـلـمـروءة شـأنٌ
إنمـا الـشـأنُ فـيه عـاد انـتـسـابـا
بـقُـوى الأرضِ مـوطـنـاً لـغـلـوٍّ
طـمس الحُـسنَ جـذوةً ورغـابـا
في طـقـوسٍ لـهـا دلائلُ شـتّى
لم يـجـاوز قـصـيُّـهـا الأربـابـا

شـهـدتْ ظـرفَـهـا الـشـعـوبُ غـيـابـا
دام بـين الحـضـورِ ظُـفْـراً ونـابـا

(*) هدية إلى ابني جليل لعمق وعيه.

لاذ في ظـلـهـا الجـمـوعُ انـصـيـاعـاً
واسـتـمـرَّ الـوجـودُ كـالأمس غـابـا
لـقـضـاةٍ يُـحـلّـلـون انـتـهـاكـاً
لـولاةٍ تـصـول فـيـه ذئـابـا
وحـمـاةٍ كم مـارس الـشـرَّ بـعضٌ
في حِـمـاهم تَـفـرُّغـاً واكـتـسـابـا
قـد قـضَـوْهـا لـقـلّـةٍ في نـعـيمٍ
كـابـدَ الأكـثـرون مـنـهـا الـعـذابـا
بـديـونٍ تـرعى الـنـموَّ ربـيـعـاً
فـإذا بـالـشـتـاء أرسى الخـرابـا
هـكـذا بـين سـيّـدٍ ومَـسـودٍ
ظـلّتِ الـنـاسُ تجـهلُ الأسـبـابـا
غـيـرَ أن الـزمـانَ كـان سـؤالاً
مـا وعَـوْا ردَّه ، وكـان الجـوابـا

١١/٨/١٩٩٩م

****

إنسان، أي إنسان
باقة على قبر الراحل العظيم

بـــين ألـــفــيّـــتـــينِ عـــهـــدُكَ طـــابـــا
عـشتَ لـلـخَـلْق في مَـداهُ شـهـابـا
هـنّـأتْكَ الـوفـودُ أصـغـرَ سِـنّـاً
حـين وافـتكَ شِـرْعـةً وانـتـدابـا
عـشتَ أنـدى يـداً وأرحمَ قـلـبـاً
ولـكُلِّ الجُـمـوعِ أشـرعَ بـابـا
لـكـأنّ المـصـيـرَ كـان سـرابـاً
تَـيَّهَ الـعـاثـرون فـيه المـآبـا
فـأنـرتَ الـطـريقَ حـتى اسـتـبـانـوا
رشـدَهم فـيه روحـةً وإيـابـا
يـا لَـذكـراكَ إذ أصمَّ بكَ الـنـا
عي ، ومـوتُ الحـبـيبِ جلَّ مُـصـابـا
أنـا في مـحـنـتي أذلُّ لـيـأسي
وتُـنـاجي نـفسي الـقـضـاءَ اكـتـئـابـا
كم رعـاني إذ كـنتُ أشـكـو زمـاني
في اغـتـرابي ، وكم حـبـاني اقـتـرابـا
كـيف أنـسـاه في ذُهـوليَ «مـعـنًى»
قـد تحـدّى به ، ومـا قطُّ خـابـا
لا تـقلْ مـات، لا يمـوت فـقـيـدٌ
كـان غَـوْثـاً ومَـيْـسـمـاً وخِـطـابـا

في شغاف القُلوبِ تلقاه وجهاً
رصدتْه الشعُوب دَوْماً مُهابا
أورث النهجَ بعد نَشْرٍ وطَيٍّ
خيرَ أهْلِيه حكمةً وشَبابا
بأخيه كأمس لا فرقَ يلقى
حَمَداً ، لا يغيبُ عنه جنابا
فهما اليومَ (ما تَغيّبَ عنّا)
في حضورٍ - لا يفرضان حِجابا
لم يزل عالَمٌ يُراوغ سَلْباً
حسبُنا نتّقي الأذى إيجابا
حسبُنا روحُه تُكلِّل طوراً
أخطأ المغرضون فيه الصوابا
حسبُنا موطنٌ له دَوْرُ نجمٍ
نورُه ساطعٌ يغطّي العُبابا
نحن فيه ونهجُه غَيرُ خافٍ
لو يعمُّ الورى لَزاد ثوابا
وحدَنا في الخليج أغنى إخاءً
وعلى ضِيقه لأَزكى رحابا
فعزاءً لنا جميعاً مُصاباً
وهناءً لنا جميعاً مَثابا

١٩٩٩/٦/١٠

****

الإنسان

فـــيـــا من وعى كـــونَه في كـــيـــانِهْ
كـــــــأنّ لـه أثـــــــراً فـي زمـــــــانِـهْ
وأنـتَ كـــــظـــــاهـــــرةٍ في مَــــــداهُ
من زبـــد الـــبـــحـــرِ بـــعضُ جُـــمـــانه

هـــنـــا كلُّ شيءٍ رهـــينُ الـــظـــهـــورِ
ولا حـيَّ إلا بمـــــعـــــنى الحـــــضـــــورِ
نـــــلـمّ بـــــأحـــــداثـه في ثـــــوانٍ
ونـــلـــغي الـــقـــرونَ لـــبُطء المـــســـيـــرِ

أنـــنـــعـــاه مَـــيْـــتـــاً؟ أنـــرثـــيه حَـــقّـــا
عـلى الجَـنْب في بـعض مَـثـواه مُـلْـقى
ومـــاذا يُـــمـــيِّـــز - وَهْـــو الـــغـــريقُ -
أنْ عـــاشَ في المـــاء أو مـــات غَـــرْقـــا

ألا لـــيت لـــلـــحيّ شـــأنـــاً كـ «حَيٍّ»
يُـــمـــيّـــزه بـــعـــد نَـــشْـــرٍ وطَيٍّ
كـــفُـــقّـــاعـــةٍ في مـــهبّ الـــريـــاحِ
تـلاشـى أمــــام الـــبِـــلـــى كلُّ شَيِّ

١٩٩٦/٣/٣

****

مرآة عصرنا

أنتَ مــرآةُ عــصــرنـــا يـــا ابنَ عــيــسى
بكَ في الـــعــصـــر نـــحن أهـــنـــأُ قَــوْمـــا
إن رثى الــنــيّــرانِ في الــظــرف عــجــزي
مــنكَ عــذري بــالــصــمت يــعــدل لــومـا
يـــحـــسب المـــادحـــون أنّـــهُمُ قَـــدْ
بـــلـــغـــوا في المـــديح شـــأوكَ دومـــا
بــيــنــمــا الحقُّ - أنتَ مــا زلتَ تــعــلــو
فــوقُ حــتـى الــذي تـــخــيّــلتَ يــومـــا
أنتَ في حُــلــكــة الــدجى الــيــومَ حُــلْمٌ
إذ يـــغطّ الـــرعـــاةُ حـــولكَ نَـــوْمـــا
إذ حــمــلتَ المــيــثــاقَ فــيــنــا ضــمــانــاً
كيف يــرضى في عــهدكَ الــنــاسُ ضَــيْما
لم أجـــد في المـــلـــوك قـــبـــلَكَ فـــرداً
حـــالفَ الـــغـــربَ ثم بـــاراه سَـــوْمـــا
كلُّ بـــابٍ طـــرقـــتَه كـــان فـــتـــحـــاً
ومـــضـــيقٍ عـــبـــرتَه كـــان عَـــوْمـــا
إن تُـــجَـــدِّدْ لـــكلّ سَـــعيٍ لـــبـــاســـاً
فلأنّ الـــنـــشـــاط يـــفـــرض حَـــوْمـــا

عشْ لـدنـيـاكَ سـائلاً ومُـجـيـبـاً
ولـدنـيـا سـواكَ صـحـواً وغـيـمـا
يـسـنـد «الـعمُّ» في الجـهـاد خُـطـاهـا
بـخـيـوطٍ تـدور في الـكـون رَيْـمـا
لابـنكَ المـرتـقى وقـد قـام فـيـنـا
مَـثَلاً يُـحـتـذى صلاةً وصَـوْمـا

٢٠٠٢/٥/١٦

✱✱✱✱

أمتـــي(*)

يــا أمّــةً لم تجــاوز أمــسَــهــا لــغــدِ
كـيف الـسـبـيلُ لـكي تَـنـسي فـتـتّـحـدي
كــفى مــكــابــرةً - مــا تــؤمــنـــين بهِ
ما غاب - مثلُكِ - معنى الغيبِ عن أَحَدِ
عــايــشتِ مــطــلــعَ إرهــابٍ ، يُــدان بهِ
ذووكِ من قِــــــدَمٍ ، أَدّى إلــى بَــــــدَدَ
ولا مُــبــرِّرَ في تــكــفــيــر بــعــضِــهِمُ
بـعـضـاً سوى ذلك الإدمـانِ في «الـسـنـد»
فلا المــســاجــدُ تــدعــو من مــنــابــرهــا
إلى احــتــرام حــقــوقِ الـفـردِ في الـبـلـد
ولا «الـشـهـادةُ» تـعـني لـلـجـمـوع سوى
خُــلْفٍ - تــعــالجه بــالــبـطش والـقَـوَد
هــيــهــات يــحــمــد إنــســانٌ جِــوارَهُمُ
إن المــهــوَّسَ فــيـــهم بُــغــضُه أَبَــدي
كم عـانتِ «الـقـلّـةُ الـعـصـمـاءُ» بـيـنَـهمُ
أذىً ، وكم لـبـثـوا في سـجنِ مُـضـطـهِد
وعــشتِ يــا أمــتي! لا تحــفــلــين بــنــا
رعى احــتــفــالُكِ دومــاً كــثــرةَ الــعــدد
ولا كـــعـــهــــدِكِ إذ تَـــمّتْ ســـيـــادتُهُ
في الخــافـقَـيْنِ - وبـاسم الـدينِ لم يَـسُد

(١) من وحي الإسلام التاريخي.

مــحــا الــتــخــلّفُ مـا سُنَّ الجــهــادُ له

فـــبِتٍّ والـــدةً... رُوحـــاً بلا جـــســـد

حقُّ الـشـعـائـرِ بـالـتـقوى ، تُـوجّـهـهـا

لـلـه خـالـصـةً - كـالـطـائـر الـغَـرِدِ

خُـــذي صــداكِ، يُـــدوّي من مــآذنـــنــا

هل قطُّ تـضـخـيـمُه أفـضى إلى رَشَـدِ؟

أنَّى لـــشــاهـــدهم تـــقـــويمُ ظـــاهـــرةٍ

كـغُـرّة الـشـهـرِ بـين الـسـبت والأحـد

أو المــعـــارضِ إذ تـــزهـــو بـــثـــروتــنـــا

مـا قـيـمـةُ الجـمعِ لـولا فـضلُ مُـقـتـصِدِ

أو مـــا يُـــقـــدّره في كلّ مُـــؤتـــمَـــرٍ

حـول الـزعـامـةِ، مـشـوارٌ لـذي حـسـد

جـمـيـعُـهـا قـدوةٌ مُـثْـلى لـسـائـرهـا

ولـيس تَـخـفى مـرامـيـهـا عـلى أحـد

لـــولا حـــقـــيـــقـــتُـــنــا وَهْمٌ نـــلـــوذ بهِ

يـا أمَّـتي لـبـلـغـنـاهـا يـداً بـيـد

هُمُ بـــنـــوكِ وقـــد نـــامـــوا عـــلى حُـــلُمٍ

طـــال الـــنـــهـــارُ به دون ارتـــيـــادِ غـد

كـــأنـــهم إذ يـــرَوْن الحـــالَ خـــانـــقـــةً

تُـــلـــقي بمن شكَّ في دَوّامـــة الـــعُـــقَـد

وإذ مـــصـمّـــمـــةُ الأزيـــاءِ تُـــفْـــزِعـــهم

بمـوقفٍ لـفـتـاة الـعـصـرِ مُـنـفـرِدِ

عـادوا سـواسـيـةً، لا يمـلـكـون لـهـا

إرادةً ، غـــيـــرَ فـــتـــوى أيِّ مُـــجـــتـــهِـد

هــنـــا، أعـــدُّوا مع الأيـــام عِـــدَّتَـــهم

لخـــوض مـــاضٍ لـــهم بـــالـــذكـريـات نَـد

والـيـومَ... لا سُـورَ في الـدنـيـا عـلى وطنٍ

إلا تَـــــســـــوَّرَه الإرهـــــابُ في رَصَـــــد

مـا أظـلـمَ الـدارَ تُـعـشي عـينَ سـاكـنـهـا

عن جـلـوة الـكـونِ في إسـحـاره الجُـدُد

إن كـان هـذا هـو الإسلامُ مُـعْـتـمِـراً

فـيـا لـوحـشـةِ من يـشـقى مع الحـشـد!

١٩٩٩/٣/١٣

****

قصائد نظمها

الشاعر إبراهيم العريض

باللغة الإنكليزية

4. Living today, in such fray,
While life to most is still a race
Playing games, having aims with an Ace
Breaking records, so to say,
To the blessed few,
(Be It ever so Gory)
Be not minding who plays,
But refining all his ways,
As with friends new,
Rests now the case,
Rests now the case,
No more life - is just glory
But grace?

(توقيع) E . A
إبراهيم العريض
Friday 15/3/2002
غرة محرم 1423
البحرين

✱✱✱✱

Life

1. In this glorious world
To the child, as you are,
Trying not to get far,
With wings unfuried,

Mum is no mum till she feeds you,
Dad is no dad till he heeds you,
But whatever his trend,
A friend is no friend,
Till he begins where others end:
He just speeds you!

2 - From behind the wall - daring all
Who could know - in and out
How he brings this about
In his rally, at his first call.
To quote what one wrote.
(deserving a jubilant vote)

" a bell is no bell till you ring it.
A song is no song till you sing it,
Love in your chest is not put there to stay,
Love is not love till you give it away,
And a heart in no heart till you wring it."

3. Light rays, human faith, global space,
Revealing both future and past,
With time's mystery face to face.
Screening time , watching life aghast,

Some, look in, where truth is lone
As life multiplying apace,
Beyond all doubts
Above all routs
Others seek, up there, what is gone
Why totally leaving no trace

IN LIFE

Of life have many sung in pure delight
Others to only grief have toll'd the knell
In life's great dome, some never could yet dwell
On life's sad end, Good God! Be it so slight

The humblest creature shares the warmth and light
Of Thy eternal love; nor doth the well..
Whose waters never to the tempest swell
Like the deep sea... Reflect the stars less bright.

Of love bereft we never could attain
This sweet unrest, this quickening breath in life;
Our candle dimly burns in dual flames
Of red and blue; and yet, let cease the strife
With shadows of one flickering flame, the pain
Is past and.. Darkness closes on our claims.

E . A (**توقيع**)
إبراهيم العريض
8/9/1933

✱✱✱✱

ULTRA - MODERN

How star - like are ye Bards of Yore! Alone,
You heard the silent music of the spheres,
And gave it living voice. Through smiles and tears,
Courting all mortals in their daily drone,

The thought, The magic touch, The manly tone
With which you season'd human hopes and fears
Were closely allied, naught to us appears,
In Truth, but interwoven with our own.

Alas! No more for us that inward bliss
Whose warmth is felt not seen, that inner glow
Akin to love; Nor dare we like them, even
Discern a right The lovely things we miss,
An artlessness which only Art can know.
No more that spark, giving a glimpse of heaven

E . A

إبراهيم العريض

10/12/1992

✱✱✱✱

one day in June

Her shapely hand was raised, and waving still
To those colourful columns filing past
In all their pageantry, the sky was cast
With clouds, and rain kept pouring over sill

And pavement , packed with not a stand to fill,
No bid to jostle, with the crowd so vast.
"So then, you saw the Queen, my dear.. At last?"
Said I. "you bet" she said. With what a thrill

She saw her Queen go by.. So sweet and fair
For all to see and bless . After her night
Of waiting in the open, with drenched hair
And drooping eyes, she played a glorius part:
Say not the Day was cold and not so bright,
For all the warmth of summer was in her heart.

E . A

إبراهيم العريض

7/7/1953

✱✱✱✱

قصائد نظمها

الشاعر إبراهيم العريض

باللغة الأوردية

وترجمها إلى العربية وهي بخط يده

المسلمون

أيتهن علائق المسلمين في العالم، وهم في شادةٍ أبدًا أنفسهم ...

... سأنسى أنما لهم يتقاضون أمتهم بدين

تقاضا ہے مسلمانوں کا بس اپنی ملت سے یہ کیسا عالم ہے کرتے رشتہ داری جو ہے خود ہی

القيامة

للخجل! يوم يحشر الناس فنقف وحدنا بينهم مطأطئي الرؤوس. يا للخجل من الجميع

غضب ہے! حشر میں ہم ہی اکیلے انہیں سب سے پشیماں کیسے کیے

الربيع

لم لا أذهل بترحيبهم يا قلب إنهم الحاني هم يرجعون

ما للربيع ولك يا قلب خضراء شتلة جراحاتك

نہ کیوں میں جھوم جاتا شکر یہ نغمے بھی کیسے خود ہیں بہار آئی تو کیا جب زخم دل اپنے ہرے خود ہیں

الحياة

كثيرون هم الأحياء إنما أحياؤهم لا يتجاوزون الإحصاء

ویسے زندہ تو ہیں بہت جنکا جینا حساب ہے

ذكرى

إن الذين كنا نتطلع وإياهم إلى لقاء منايت هنا
مالهم يحتضنوننا في موعد صامتين ؟

ملنا یہاں کہیں تھا منایت سے ہم نے ساتھ   کہتے ہیں کیوں، وہ آج گلے لگے، کچھ نہیں

الفن

يا بؤس أهله ! صوت سماوي في قبضة الطرب
فصاره أن يلتمس ثمن الدواء

بیچتی؟ وار سے دوا کے لئے   دکھ کی انمول لے لگی کیوں ہے

الإنسانية

أقدّم الإنسان بالإنسان ... المكرّمتا الإنسانية بالمرء
تؤثث شفتيها زهرة الرّمان بالألوان، لم تشوش بأريجها ولا تثرى

ملے انسانیت ملی ہی نہیں   رنگ لاکر دکھا کھلی ہی نہیں

الحقيقة

الحقيقة؟ يراها الراؤون عيانا اليوم. وتتجدد في أشياعهم منذ لقد خلفوا ما يرون

آج جو کچھ دکھائی دیتا ہے   کل سے سنتے رہو کہ کیا سچ ہے

الفهـــرس

- تصدير، عبدالعزيز سعود البابطين ٣
- شهادة في الأستاذ ٥
- نماذج من شعره باللغة العربية ٤٩
- قصائد نظمها باللغة الإنكليزية ١٥٥
- قصائد نظمها باللغة الأورديّة ١٦١
- الفهرس ١٦٤

✷✷✷✷